# قطوف وشذرات

تأليف

أبي عبيدة

أسامة بن محمد الجمال

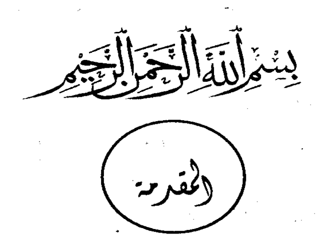
الناشر

دار الصفا والمروة للنشر والتوزيع

الإسكندرية - ت: ٥٤٩٦١٠٧

الطبعة الأولى
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

| رقم الإيداع | ٩٨٠٤ / ٢٠٠٤ |
| --- | --- |



## المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾** [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ ، ٧١].

**وبعد:**

فإن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما، وجلاؤه بالذكر، فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء، فإذا ترك الذكر صدأ فإذا ذكره جلاه.

وإن الأبدان تفـتـر، والإيمان يخلَـقُ في قلب العبـد، وإن المؤمن خُلِق مفـتنًا نسيًـا ولكنه إذا ذُكِّر ذَكَـر، وإذا زجر انـزجـر، وإذا وعـظ اتعـظ، قـال الله تعـالـى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، وقال رسول الله ﷺ: **«الدين النصيحة»**[1].

ولأجل تذكير نفـسي أولاً ثم إخواني المسلمين، حتى لا يطول بنا الأمل وتستـأسرنا الغفلة، وضعت كتابي هذا «قطوف وشذرات» ليكون تذكرة للغافلين، وسميرًا للصالحين، ورفيقًـا للمسافرين، ومعينًا على طريق الحق، للوصـول إلـى الغـاية الكبـرى، وهي رضـى الله عـز وجـل والفـوز بجنـة النعيـم. اللهـم

(١) رواه مسلم (٥٥).

آمين .

ونسـأل الله عـز وجــل أن يعظـم لنـا الأجــر والثواب على ما فيه من صواب ، وأن يعاملنا بالعفو والغفران لما فيه خطأ ونسيان .

❑ ❑ ❑

## ذكر الله عز وجل

قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١] ، وقال تعالى : ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

قال رسول الله ﷺ : **«يقول الله تبارك وتعالى : أنا عند ظن عبدي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم ، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعًا ، وإن تقرب إلي ذراعًا تقربت منه باعًا ، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة»**[1] .

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥) .

فإن ذكر الله نعمة كبرى ، ومنحة عظمى ، به تستجلب النعم ، وبمثله تستدفع النقم ، وهو قوت القلوب، وقرة العيون ، وسرور النفوس ، وروح الحياة، وحياة الأرواح ، ما أشد حاجة العباد إليه ، وما أعظم ضرورتهم إليه ، لا يستغني عنه المسلم بحال من الأحوال .

قال رسول الله ﷺ : **«مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت»**[1] .

**• أفضل الذكر :**

ما تواطأ عليه القلب واللسان ، وإنما كان ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان وحده ، لأن ذكر القلب يثمر المعرفة بالله ، ويهيج المحبة ، ويثير

(١) رواه البخاري ( ٦٤٠٧).

الحياء، ويبعث على المخـافة ، ويدعو إلى المراقبة ، ويَزُعُ عـن التقصير فـي الطـاعـات ، والتهـاون فـي المعاصي والسيئـات ، وذكر اللسان وحده لا يوجب شيئًـا من هذه الآثار ، وإن أثمر شيـئًا منهما فـثمرة ضعيفة .

**● من فوائد الذكر :**

١ ـ أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره.

٢ ـ أنه يرضي الرحمن عز وجل .

٣ ـ أنه يزيل الهم والغم عن القلب .

٤ ـ أنه يجلب للقلب الفرح والسرور .

٥ ـ أنه يقوي القلب والبدن .

٦ ـ أنه ينور الوجه والقلب .

٧ ـ أنه يورثه المحبة التي هي روح الإسلام .

٨ ـ أنه منجاة من عذاب الله .

٩ ـ أنه يؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة .

١٠ ـ أن الذكر سد بين العبد وبين جهنم .

١١ ـ أن في دوام الذكر في الطريق ، والبيت ، والبقاع ، تكثيرًا لشهود العبد يوم القيامة[1] .

❑ ❑ ❑

(١) صحيح الوابل الصيب ص٨٢ ـ ١٥٤ باختصار .

## الأسباب المعينة على زيادة الإيمان

**قال ابن القيم رحمه الله :**

**وأما تقوية باعث الدين فإنه يكون بأمور :**

**أحدها :** إجلال الله تبارك وتعالى أن يُعصى وهو يرى ويسمع .

**الثـاني :** مشهد محبته سبحـانه ، فيترك معصيته محبة له ، فإن المحب لمن يحب مطيع .

**الثالث :** مشهد النعمة والإحسان ، فإن الكريم لا يقابل من أحسن إليه بـالإساءة ، وإنما يفعل هذا لئام الناس .

**الرابع :** مشهد الغضب والانتقام ، فإن الرب تعالى إذا تمادى العبد في معصيته غضب ، وإذا غضب لم يقم لغضبه شيء فضلاً عن هذا العبد الضعيف .

**الخامس :** مشهد الفوات ، وهو ما يفوته بالمعصية من خير الدنيا والآخرة ، . . . ويكفي في هذا المشهد مشهد فوات الإيمان الذي أدنى مثقال منه خير من الدنيا وما فيها أضعافًا مضاعفة ، فكيف يبيعه بشهوة تذهب لذتها وتبقى تبعتها ، تذهب الشهوة ، وتبقى الشقوة ، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : **«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»**[1] .

---

(١) رواه البخاري (٢٤٧٥) .

**السادس:** مشهد القهر، والظفر، فإن قهر الشهوة والظفر بالشيطان له حلاوة ومسرة وفرحة.

**السابع:** مشهد العوض: وهو ما وعد الله سبحانه وتعالى من تعويض من ترك المحارم لأجله، ونهى نفسه عن هواها.

**الثامن:** مشهد المعية، وهي التي في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ**﴾ [النحل: ١٢٨]. فهذه المعية خير للعبد وأنفع له في دنياه وآخرته ممن قضى وطره ونال شهوته على التمام من أول عمره إلى آخره.

**التاسع:** مشهد العاجلة: وهي خوف العبد أن يأخذه الله على غرة، فيحال بينه وبين ما يشتهي من لذات الآخرة، فيالها من حسرة ما أمرَّها وما أصعبها.



**العاشر:** مشهد البلاء والعافية : فإن البلاء في الحقيقة ليس إلا الذنوب وعواقبها ، والعافية المطلقة هي الطاعات وعواقبها .

**الحادي عشر:** أن يُعوِّد باعث الدين ودواعيه مصارعة داعي الهوى ومقاومته على التدريج قليلاً قليلاً حتى يدرك لذة الظفر ، فتقوى حينئذ همته .

**الثاني عشر:** كفُّ الباطن عن حديث النفس ، وإذا مرت به الخواطر نفاها ولا يئويها ويساكنها ، فإنها تصير أماني وهي رءوس أموال المفاليس ، فإذا صارت الخواطر أماني فإنها تقوى فتصير همومًا ، ثم تقوى فتصير إرادات ، ثم تقوى فتصير عزمًا يقترن به المراد ، فَدَفْعُ الخاطر الأول أسهل وأيسر من دفع أثر المقدور بعد وقوعه وترك معاودته .

**الثالث عشر :** قطع العلائق والأسباب التي تدعوه إلى موافقة الهوى .

**الرابع عشر :** التفكر في الدنيا وسرعة زوالها وقرب انقضائها .

**الخامس عشر :** صرف الفكر إلى عجائب آيات الله التي ندب عباده إلى التفكر فيها ، وهي آياته المتلوة، وآياته المجلوَّة .

**السادس عشر :** تعرضه إلى مَن القلوب بين أصبعيه، وأزمة الأمور بيديه ، ولعله في كثرة تعرضه أن يصادف ساعة من الساعات التي لا يُسأل الله فيها شيئًا إلا أعطاه.

**السابع عشر :** أن يعلم العبد بأن فيه جاذبين متضادين، ومحنته بين الجاذبين ، جاذب يجذبه إلى

الرفيق الأعلى من أهل عليين ، وجـاذب يجذبه إلى أسفل سافلين ، فكلما انقاد مع الجاذب الأعلى صعد درجـة حـتى ينتـهي إلى حـيث يـليق به من المحل الأعلى ، وكلما انقاد إلى الجـاذب الأسفل نزل حتى ينتهي إلى موضعه من سجين.

**الثامن عشر:** أن يعلم العبد أن تفريغ المحل شرط لنزول غـيث الرحـمة ، وتنقـيـته من الدغل شـرط لكمال الزرع، ولو فَـرَّغ العبد المحل وهيـأه وأصلحه لرأى العجائب، فـإن فضل الله لا يرده إلا المانع في العبد، فلو زال ذلك المانع لسارع إليه الفضل من كل صوب.

**التاسع عشر:** أن يعلم العبد أن الله سبحانه خلقه لبقاء لا فناء له ، ولعز لا ذل معه ، وأمن لا خوف فيه، وغَنَاء لا فقر معـه ، ولذة لا ألم معها، وكمال

لا نقص فيه ، وامتحنه في هذه الدار بالبقاء الذي يسرع إليه الفناء ، والعز الذي يقارنه الذل ، ويعقبه الذل ، والأمن الذي معه الخوف ، وبعده الخوف ، وكذلك الغَنَاء واللذة والفرح والسرور والنعيم الذي هنا مشوب بضده ، فغلط أكثر الخلق في هذا المقام ؛ إذ طلبوا النعيم والبقاء والعز والملك والجاه في غير محله ، ففاتهم في محله ، وأكثرهم لم يظفر بما طلبه من ذلك .

**العشرون :** أن لا يغتر العباد باعتقادهم أن مجرد العلم بما سبق كاف في حصول المقصود ، بل لابد من أن يضيف إليه بذل الجهد في استعماله، واستفراغ الوسع والطاقة فيه[1] .



(١) عدة الصابرين ص٩٣ ـ ١٠١ بتصرف.

# عشرة لا ينتفع بهن

**عشرة أشياء ضائعة لا ينتفع بهن:**

علم لا يعمل به ، وعمل لا إخلاص فيه ولا اقتداء ، ومال لا ينفق منه فلا يستمتع به جامعه في الدنيا ولا يقدمه أمامه من طاعته وخدمته ، ومحبة لا تتقيد برضاء المحبوب وامتثال أوامره ، ووقت معطل عن استدراك فارط أو اغتنام بر وقربة ، وفكر يجول فيما لا ينفع ، وخدمة من لا تقربك خدمته إلى الله ولا تعود عليك بصلاح دنياك ، وخوفك ورجاؤك لمن ناصيته بيد الله وهو أسير في قبضته ولا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا .

وأعظم هذه الإضاعات إضاعتان هما أصل كل إضاعة : إضاعة القلب وإضاعة الوقت ، فإضاعة القلب من إيثار الدنيا على الآخرة ، وإضاعة الوقت طول الأمل، فاجتمع الفساد كله في اتباع الهوى وطول الأمل، والصلاح كله في اتباع الهدى والاستعداد للقاء، والله المستعان .

العجب ممن تعرض له حاجة فيصرف رغبته وهمته فيها إلى الله ليقضيها له ولا يتصدى للسؤال لحياة قلبه من موت الجهل والإعراض وشفائه من داء الشهوات والشبهات ، ولكن إذا مات القلب لم يشعر بمعصيته[1] .



(١) الفوائد ص١١٩ .

## حقيقة الدنيا

الدنيا كامرأة بغي ، لا تثبت مع زوج ، إنما تخطب الأزواج ليستحسنوا عليها ، فلا ترض بالدياثة .

**ميزت بين جمالها وفعالها**

**فإذا الملاحةُ بالقباحة لا تفي**

**حلفت لنا ألا تخون عهودنا**

**فكأنها حلفت لنا أن لا تفي**

● السير في طلبها سير في أرض مسبعة ، والسباحة فيها سباحة في غدير التمساح ، المفروح به

منهـا هو عين المحـزون عليه ، آلامـهـا متـولدة من لذاتها، وأحزانُها من أفراحها.

**مآرب كانت في الشباب لأهلها**

**عِذَابًا فصارت في المشيب عَذَابًا**

طائر الطبع يـرى الحـبـة ، وعين العـقل ترى الشَّرَك، غير أن عين الهوى عمياء .

**وعين الرضا عن كل عيب كليلة**

**كما أن عين السخط تبدي المساويا**

تزخرفت الشهوات لأعين الطباع ، فغض عنها الذين يؤمنون بـالغـيب ، ووقع تابعـوها في بيـداء الحسـرات ، فـ﴿ **أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾[البقرة: ٥] ، وهؤلاء يقال لهم : ﴿ **كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ** ﴾[المرسلات: ٤٦].

• يا عامر الدنيا إنما الدنـيا دار قلعة كم مزقت قلبًا بحـبها، فرجع ألف قطعـة ، إن خصت بطيب المذاق أغصت وسط الجرعـة يوم ترحها سنة وسنة ، فرحها جمعة ، إنها لمظلمة ولو أوقدت ألف شمعة، وهي مع هذا خائنة .

**ذهــب العــمــر وفــات**

**يــا أســيــر الشــهــوات**

**ومــضــى وقــتك في لــهــو**

**وســهــو وســبــات**

**بيــنمــا أنت عــلى غــيــك**

**حــتى قــيــل مــات**[1]

(١) المدهش ص٤١٥ .

لما عرف الموفقون قدر الحياة الدنيا ، وقلة المقام فيها ، أماتوا فيها الهوى ، طلبًا لحياة الأبد ، ولما استيقظوا من نوم الغفلة ، استرجعوا بالجد ما انتهبه العدو منهم في زمن البطالة ، فلما طالت عليهم الطريق ، تلمحوا المقصد ، فقرب عليهم البعيد ، وكلما أمرت لهم الحياة حلا لهم تذكر ﴿**هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

● الدنيا فلاة فلا تأمن الفلا ، بل تيقن أنها مارستان بلا ، ولا تسكن إليها وإن أظهرت لك الولا ، على أنها تخفض من علا ، فلينظر الإنسان يمنة فهل يرى إلا محنة؟ ثم ليعطف يسرة فهل يرى إلا حسرة ؟!

❑ ❑ ❑

## نصيحة أخ لأخيه

**كتب رجل إلى أخ له :** أما بعد : فإني أحدثك عن نفسي بما لا أرضاه منها ، وعن قلبي بما أخاف سوء عاقبته : إن لي نفسًا تحب الراحة ، وقلبًا يألف اللذات ، وهمة تستثقل الطاعة ، وقد رهبت نفسي الآفات ، وحذرت قلبي الموت ، وزجرت همتي عن التقصير ، فلم أرض ما رجع منهن ، فاهد لي بعض ما أستعين به على ما شكوت إليك ، فقد خفت الموت قبل الاستعداد له ، والسلام .

**فكتب إليه :** أما بعد ، فقد كثر تعجبي من قلب يألف الدنيا ويطمع في البقاء ، الساعات تنقلنا ، والأيام تطوي أعمارنا ، فكيف نألف ما لا ثبات له ؟

وكيف تنعم عين لعلها لا تطرف بعد رقدتها إلا بين يدي الله ؟ والسلام .

**إخواني :**

أين القلوب النقية ؟ هل ذهبت فلم يعد لها بقية ؟!

أين إخوان الصدق والوفاء ؟ ذهبوا بذهاب سلمان وأبي الدرداء ؟!

أين من يشكو لأخيه تقصيره ؟ ويطلب منه أن ينير سبيله ؟!

كيف العمل وكلنا يحسب أنه ابن حنبل ؟!

كيف الإصلاح وكلنا يرى أنه الشافعي وابن الصلاح ؟!

كيف التدارك وكلنا يحسب أنه مالك ؟!

أين الحقيقة وكلنا يزعم أنه أبو حنيفة ؟!

قال أبو حاتم رحمه الله : « النصيحة محاطة بالتهمة ، وليست النصيحة إلا لمن قبلها ، كما أن الدنيا ليست إلا لمن تركها ، ولا الآخرة إلا لمن طلبها ، وليس على ذي نصح إلا الجهد ، ولو لم يقبل من نصحائه ما يثقل عليه لم يحمد غب رأيه ، ومشاورة الأصم أحمد من الناصح المعرض عنه ، ومن بذل نصيحة لمن لا يشكر كان كالباذر في السباخ ، وأكثر ما يوجد ترك قبول النصيحة من المعجب برأيه »[1].

**وصلوا إلى مولاهم وبقينا**

**وتنعموا بوصاله وشقينا**

(١) روضة العقلاء ص١٧٦ .



ذهبت شبيبتنا وضاع زماننا

ودنت منيتنا فمن ينجينا

فتجمعوا أهل القطيعة والجفا

نبكي شهورًا قد مضت وسنينا[1]

□ □ □

(١) المدهش ص٤١٢ .

## كيف أصبحتَ ؟

عن إسحاق بن إبراهيم قال : قال رجل للفضيل : كيف أصبحت ؟ فكان يثقل عليه : كيف أصبحت ؟ وكيف أمسيت ؟

فقال : في عافية .

فقال : كيف حالك ؟

فقال : عن أي حال تسأل ؟ عن حال الدنيا ، أو حال الآخرة ؟

إن كنت تسأل عن حال الدنيا ، فإن الدنيا قد مالت بنا ، وذهبت بنا كل مذهب ، وإن كنت تسأل عن حال الآخرة ، فكيف ترى حال من كثرت ذنوبه ،

وضعف عـمله ، وفني عـمره ، ولم يتـزود لمعاده ، ولم يتـأهب للمـوت ، ولم يخـضع للمـوت ، ولم يتشمر للموت، ولم يتزين للموت ، وتزين للدنيا ؟!

هيه ، وقعـد يحدث ـ يعني نفسه ـ واجتـمعوا حولك يكتبون عنك بخٍ فقد تفرغت للحديث .

ثم قـال : هاه ـ وتنفس طويلاً ـ، ويحك أنت تحـسن تحـدث ، أو أنت أهل أن يحـمل عنك ؟ استحي يا أحـمق بين الحمقان ، لولا قلـة حيائك ، وسفاهة وجهك ، ما جلست تحدث وأنت أنت .

أما تعرف نفسك ؟ أما تذكـر مـا كنـت وكيـف كنت ؟ أما لو عـرفوك ما جلسوا إليك ، ولا كـتبوا عنك ، ولا سمعوا منك شيئًا أبدًا .

فيأخذ في مثل هذا ، ثم يقول :

ويحك أما تذكر الموت ؟ أمـا للموت في قلبك

موضع ؟ أما تدري متى تؤخذ فيرمى بك في الآخرة ؟ فتصير في القبر وضيقه ووحشته ، أما رأيت قبرًا قط ؟ أما رأيت حين دفنوه ؟ أما رأيت كيف سلوه في حفرته وهالوا عليه التراب والحجارة ؟

ثم قال : ما ينبغي لك أن تتكلم بفمك كله - يعني نفسه - تدري من تكلم بفمه كله ؟ عمر بن الخطاب ، كان يطعمهم الطيب ، ويأكل الغليظ ، ويكسوهم اللين ، ويلبس الخشن[1] .

❑ ❑ ❑

(١) مواعظ الفضيل ص٨٧، ٨٨ .

## الحـرص

**قال الحسن البصري رحمه الله :**

يا ابن آدم ، سرطًا سـرطًا ، جمعًا جـمعًا في وعاء ، وشدًا شدًا في وكاء ، ركوب الذلول ، ولبوس اللين ، ثم قيل : مات ، فأفضى والله إلى الآخرة .

إن المؤمن عمل لله أيامًا يسـيرة ، فوالله ما ندم أن يكون أصاب من نعيمـها ورخائها ، ولكن راقت الدنيا له ، فاستهانها وهضمها ـ أي ظلمها ـ لآخرته ، وتزود منها .

فلم تكن الدنيا في نفسه بدار ، ولم يرغب في نعيمها ، ولم يفرح برخـائها ، ولم يتعاظم في نفسه

شيء من البلاء إن نزل به مع احتسابه للأجر عند الله ، ولم يحتسب نوال الدنيا ، حتى مضى راغبًا راهبًا، فهنيئًا هنيئًا ، فأَمَّن الله بذلك روعته ، وستر عورته، ويسر حسابه[1] .

□ □ □

(١) مواعظ الحسن البصري ص ٥٠ .

## النجـــاة

**قال الشافعي رحمه الله :**

اعلم أن من صدق الله نجـا ، ومن أشفق على دينه سلم من الردى ، ومن زهد في الدنيا قرت عيناه بما يراه من ثواب الله تعالى غدًا .

وقال : من كان فيه ثلاث خصال فقد استكمل الإيمان :

- من أمر بالمعروف وائتمر .
- ونهى عن المنكر وانتهى .
- وحافـظ على حدود الله تعالى .

**وقال أيضًا:**

كن في الدنيـا زاهدًا ، وفي الآخـرة راغبًـا ، واصـدق الله تعـالـى فـي جميـع أمـورك ، تنـج مـع الناجين[١] .

❏ ❏ ❏

(١) مواعظ الشافعي ص٥٦، ٥٧ .

## التواضع

قال الله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴾ .

[الفرقان : ٦٣]

**قال الشيخ عبد الرحمن السعدي :**

«ذكر أن صفاتهم أكمل الصفات ، ونعوتهم أفضل النعوت ، فوصفهم بأنهم ﴿ **يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا** ﴾ أي ساكنين متواضعين لله وللخلق ، فهذا وصف لهم بالوقار والسكينة ، والتواضع لله ولعباده»[1] ، والعلو كل العلو في الدارين للمتواضعين ، قال الله تعالى : ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ**

(١) تفسير السعدي ص٥٨٦ .

.نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

**قال ابن كثير:**

«يخبر تعالى أن الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول، جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين ﴿الَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ﴾ [القصص: ٨٣]، أي ترفعًا على خلق الله، وتعاظمًا عليهم، وتجبرًا عليهم، ولا فسادًا فيهم»(١).

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله أوحى إليَّ: أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد**»(٢).

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٢٨).

(٢) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها [النووي ٩/ ٢١٦].

قال رسول الله ﷺ : «ما من آدمي إلا في رأسه حكمة بيد ملك فإذا تواضع قيل للملك : ارفع حكمته ، وإذا تكبر قيل للملك: دع حكمته»(١).

قال رسول الله ﷺ : «ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»(٢).

**قال النووي :**

**«وما تواضع أحد لله إلا رفعه»** فيه وجهان:

**أحدهما :** يرفعه الله في الدنيا، ويُثبت له بتواضعه في القلوب منزلة، ويرفعه الله عند الناس، ويُجلُّ مكانه.

---

(١) **حسن.** رواه الطبراني عن ابن عباس، والبزار عن أبي هريرة، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٧٥).

(٢) رواه مسلم (٢٥٨٨).

**والثاني:** أن المراد ثوابه في الآخرة ، ورفعه فيها بتواضعه في الدنيا[1] .

**• تواضع النبي ﷺ:**

عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُردف خلفه ، ويضع طعامه على الأرض ، ويُجيب دعوة المملوك ويركب الحمار[2]

وعن أبي أيوب رضي الله عنه قال : كان صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ، ويخصف النعل ، ويرفع القميص ، ويلبس الصوف ، ويقول :

(١) شرح النووي على مسلم (٨/ ٣٨٦) .

(٢) **صحيح** رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢١٢٥).

«من رغب عن سنتي فليس مني»[1] .

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه : كانت الأَمَة تأخذ بيده ﷺ فتنطلق به حيث شاءت[2] .

**• تواضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه :**

قال عروة بن الزبير رضي الله عنهما : رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على عاتقه قربة ماء ، فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، لا ينبغي لك هذا ، فقال : لما أتاني الوفود سامعين مطيعين ، دخلت في نفسي نخوة ، فأردت أن أكسرها[3] .

---

(١) **حسن**. أخرجه ابن عساكر وأبو الشيخ والسهمي وابن سعد، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٩٤٦).

(٢) رواه البخاري (٦٠٧٢).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٣٣٠) .

**• تواضع علي بن أبي طالب رضي الله عنه :**

عن عمرو بن قيس : «أن عليًا رضي الله عنه رُئِيَ عليه إزار مرقوع ، فعُوتب في لبوسه ، فقال : يقتدي به المؤمن ، ويخشع له القلب»[1].

**• تواضع محمد بن واسع رحمه الله :**

عن حماد بن زيد قال : «ما رأيت محمد بن واسع إلا وكأنه يبكي ، وكان يجلس مع المساكين والبكائين»[2].

ورأى ابنُ واسع رحمه الله ابنًا له يمشي مشية

(١) **صحيح**. أخرجه أحمد في فضائل الصحابة ، وهناد ابن السري في الزهد ، وابن سعد في الطبقات ، وابن أبي الدنيا في التواضع والخمول.

(٢) التواضع والخمول ص١٥١.

منكرة ، فقال : «تدري بكم شـريتُ أمك؟ بثلاثمائة درهم ، وأبوك - لا كثر الله في المسلمين مثله - أنا ، وأنت تمشي هذه المشية؟»[1] .

❑ ❑ ❑

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٣١).

# أنواع هجر القرآن والحرج منه

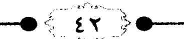
**هجر القرآن أنواع**[1] **:**

**أحدها :** هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه .

**والثاني :** هجر العمل به ، والوقوف عند حلاله وحرامه ، وإن قرأه وآمن به .

**والثالث :** هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه ، واعتقاد أنه لا يفيد اليقين وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم .

(١) الفوائد ص ٨٨، ٨٩ .



**والرابع :** هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه .

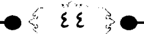
**والخامس :** هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها ، فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به .

**وكل هذا داخل في قوله تعالى :**

**﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾** [الفرقان: ٣٠] ، وإن كان بعض الهجر أهون من بعض، وكذلك الحرج الذي في الصدور منه، فإنه تارة يكون حرجًا من إنزاله وكونه حقًا من عند الله، وتارة يكون من جهة المتكلم به ، وتارة يكون من جهة كفايته وعدمها وأنه لا يكفي العباد ، بل هم محتاجون معه إلى المعقولات والأقيسة أو الآراء أو السياسات .

وتارة يكون من جهة دلالته وما أريد به حقائقه المفهومة منه عند الخطاب أو أريد به تأويلها وإخراجها من حقائقها إلى تأويلات مستكرهة مشتركة ، وتارة يكون من جهة كون تلك الحقائق وإن كانت مرادة - فهي ثابتة في نفس الأمر - أو أوهم أنها مرادة لضرب من المصلحة. فكل هؤلاء في صدورهم حرج من القرآن ، وهم يعلمون ذلك من نفوسهم ويجدونه في صدورهم .

ولا تجد مبتدعًا في دينه قط إلا وفي صدره حرج من الآيات التي تخالف بدعته ، كما أنك لا تجد ظالمًا فاجرًا إلا وفي صدره حرج من الآيات التي تحول بينه وبين إرادته ، فتدبر هذا المعنى ثم ارض لنفسك ما تشاء.

## المحافظة على الصديق

قال يونس بن عبد الأعلى : قال لي الشافعي رحمه الله ذات يوم : يا يونس : إذا بلغك عن صديق لك ما تكرهه، فإياك أن تبادره بالعداوة وقطع الولاية ، فتكون ممن أزال يقينه بشك ، ولكن القه وقل له : بلغني عنك كذا وكذا ، واحذر أن تسمي له المبلِّغ ، فإن أنكر ذلك ، فقل له : أنت أصدق وأبر ، ولا تزيدنَّ على ذلك شيئًا ، وإن اعترف بذلك ، فرأيت له في ذلك وجهًا لعذر ، فاقبل منه، وإن لم ترَ ذلك ، فقل له : ماذا أردت بما بلغني عنك ؟

فإن ذكر ما له وجه من العذر فاقبل منه ، وإن

لم تر لذلك وجهًا لعذر ، وضاق عليك المسلك ، فحينئذ أثبتها عليه سيئة أتاها ، ثم أنت في ذلك بالخيار ، إن شئت كافأته بمثله من غير زيادة ، وإن شئت عفوت عنه ، والعفو أقرب للتقوى ، وأبلغ في الكرم لقول الله تعالى : ﴿ **وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ** ﴾ [الشورى: ٤٠].

فإن نازعتك نفسك بالمكافأة ، فاذكر فيما سبق له لديك من الإحسان ولا تبخس باقي إحسانه السالف بهذه السيئة ؛ فإن ذلك الظلم بعينه ، وقد كان الرجل الصالح يقول : رحِمَ الله من كافأني على إساءتي من غير أن يزيد ، ولا يبخس حقًا لي .

يا يونس ! إذا كان لك صديق فشدَّ يديك به ، فإن اتخاذ الصديق صعب ، ومفارقته سهل .

وقد كان الرجل الصالح يشبِّه سهولة مفارقة

الصديق بصبي يطرح في البئر حجرًا عظيمًا ، فيسهل طرحه عليه، ويصعب إخراجه على الرجال .

فهذه وصيتي إليك ، والسلام[1] .

❑ ❑ ❑

(١) مواعظ الإمام الشافعي ص٣٧، ٣٨.

## رسالة في التزام السنة

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامل له :

أما بعد :

فإني أوصيك بتقوى الله ، واتباع سنة رسوله، والاقتصاد في أمره ، وترك ما أحدث المحدثون بعده ممن قد حارب سنته .: ثم اعلم أنه لم تكن بدعة إلا وقد مضى قبلها ما هو دليل على بطلانها ، فعليك لزوم السنة ، فإنه إنما سنَّها من قد علم ما في خلافها من الزيغ والزلل ، والحمق والخطأ والتعمق. ولَهُم كانوا على كشف الأمور أقوى ، وعلى العمل الشديد أشد ، وإنما كان عملهم على الأسدِّ ـ أفعل

تفضيل من السداد ، وهو الاستقامة والصواب من القول والعمل - ، ولو كان فيما تحملون أنفسكم فضل لكانوا فيه أحرى ، وإليه أجرى ؛ لأنهم السابقون إلى كل خير .

فإن قلت : قد حدث بعدهم خير ، فاعلم أنه إنما أحدثه من قد اتبع غير سبيل المؤمنين ، وحاد عن طريقهم ، ورغبت نفسه عنهم ، ولقد تكلموا منه ما يكفي ، ووصفوا منه ما يشفي .

فأين ؟ لا أين ، فمَن دونهم مقصر ، ومَن فوقهم غير محسن ، ولقد قصر أقوام في دينهم فخفوا ، وطمح عنهم آخرون فغلوا .

وقال ابن كثير تعقيبًا على هذه الرسالة :

فرحم الله ابن عبد العزيز ، ما أحسن هذا القول الذي ما يخرج إلا من قلب قد امتلأ بالمتابعة ،

ومحبة ما كان عليه الصحابة ، فمن الذي يستطيع أن يقول مثل هذا من الفقهاء وغيرهم ؟ فرحمه الله وعفا عنه[1] .

**قال الإمام الشافعي :**

«كل مسألة تكلمت فيها بخلاف السنة فأنا راجع عنها في حياتي وبعد مماتي»[2].

**قال الإمام أحمد بن حنبل :**

«أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ ، والاقتداء بهم وترك البدع ، وكل بدعة فهي ضلالة» [3].

(١) البداية والنهاية (٩/ ٢٤١).

(٢) حقا إنها المنجيات ص١٩ .

(٣) حقا إنها المنجيات ص١٩ .

## مقتل سعيد بن جبير

كان سعيد بن جبير فيمن خرج على الحجاج من القراء ، وشهد دير الجماجم ، فلما انهزم أصحاب الأشعث هرب فلحق بمكة فأخذه بعد مدة طويلة خالد بن عبد الله القسري ، وكان والي الوليد ابن عبد الملك على مكة فبعث به إلى الحجاج .

عن أبي حصين قال : أتيت سعيد بن جبير بمكة فقلت : إن هذا الرجل قادم ، يعني خالد بن عبد الله ، ولا آمنه عليك ، فأطعني واخرج فقال : والله لقد فررت حتى استحييت من الله ، قلت : والله إني لأراك ـ كما سمتك أمك ـ سعيدًا .



قال : فقدم مكة ، فأرسل إليه فأخذه فأخبرني يزيد بن عبد الله قال : أتينا سعيد بن جبير حين جيء به فإذا هو طيب النفس ، وبنية له في حجره ، فنظرت إلى القيد فبكيت ، فشيعناه إلى باب الجسر ، فقال الحرس : أعطنا كفلاء فإنا نخاف أن تغرق نفسك ، قال يزيد : فكنت فيمن كفل به.

عن داود بن أبي هند قال : لما أخذ الحجاج سعيد بن جبير قال : ما أراني إلا مقتولاً، وسأخبركم أني كنت أنا وصاحبان لي دعونا حين وجدنا حلاوة الدعاء ، ثم سألنا الشهادة فكلا صاحبي رزقها وأنا أنتظرها .

عن عمر بن سعيد قال : دعا سعيد بن جبير ابنه حين دُعي ليقتل ، فجعل ابنه يبكي ، فقال : ما يبكيك ؟ ما بقاء أبيك بعد سبع وخمسين سنة .

قال ابن ذكوان : إن الحجاج بن يوسف بعث إلى سعيد بن جبير فأصابه الرسول بمكة ، فلما سار به ثلاثة أيام رآه يصوم نهاره ويقوم ليله ، فقال الرسول : والله إني لأعلم أني أذهب بك إلى من يقتلك ، فاذهب إلى أي طريق شئت .

فقال له سعيد : إنه سيبلغ الحجاج أنك قد أخذتني ، فإن خليت عني خفت أن يقتلك ، ولكن اذهب بي إليه .

قال : فذهب به ، فلما دخل عليه قال له الحجاج: ما اسمك ؟

قال : سعيد بن جبير .

فقال : بل شقي بن كسير .

فقال : أمي سمتني .

قال : شقيت .

قال : الغيب يعلمه غيرك .

قال له الحجاج : أما والله لأبدلنك من دنياك نارًا تلظى .

قال سعيد : لو علمت أن ذلك إليك ما اتخذت إلهًا غيرك .

ثم قال الحجاج : ما تقول في رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

قال : نبي مصطفى خير الباقين وخير الماضين.

قال : فما تقول في أبي بكر الصديق ؟ قال: ثاني اثنين إذ هما في الغار أعز الله به الدين ، وجمع به بعد الفرقة .

قال : فما قولك في عمر بن الخطاب رضي الله

عنه ؟ قال : فاروق وخيرة الله من خلقه، أحب الله أن يعز الدين بأحد الرجلين ، فكان أحقهما بالخيرة والفضيلة ، قال : فما تقول في عثمان بن عفان ، قال : مجهز جيش العسرة ، والمشتري بيتًا في الجنة والمقتول ظلمًا ، قال: فما تقول في علي ؟ قال : أولهم إسلامًا وأكثرهم هجرة ، تزوج بنت رسول الله ﷺ التي هي أحب بناته إليه .

قال : فما تقول في معاوية ؟ قال : كاتب رسول الله ﷺ ، قال: فما تقول في الخلفاء منذ كان رسول الله ﷺ إلى الآن ؟ قال : سيجزون بأعمالهم ، فمسرور ومثبور ، ولست عليهم بوكيل ، قال : فما تقول في عبد الملك بن مروان ؟ قال: إن يكن محسنًا فعند الله ثواب إحسانه، وإن يكن مسيئًا فلن يعجز الله .

قال: فما تقول فيّ؟

قال: أنت بنفسك أعلم. قال: بثَّ فيَّ علمك. قال: إذًا أسوءك ولا أسرك، قال: بثَّ.

قال: نعم، ظهر منك جور في حدِّ الله، وجرأةٌ على معاصيه بقتلك أولياء الله.

قال: والله لأقطعنك قطعًا وأفرقن أعضاءك عضوًا عضوًا.

قال: إذًا تُفسد عليَّ دُنياي، وأفسد عليك آخرتك، والقصاص أمامك.

قال: الويلُ لك من الله.

قال: الويلُ لمن زُحزح عن الجنة وأدخل النار، قال: اذهبوا به فاضربوا عنقه.

قال سعيد: إني أُشهدك أني أشهد أن

لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، أستحفظك بها حتى ألقاك يوم القيامة .

فلما ذهبوا به ليقتل تبسم ، فقال له الحجاج : مم ضحكت ؟

قال : من جرأتك على الله عز وجل .

فقال الحجاج : أضجعوه للذبح ، فأُضجع ، فقال : ﴿ **وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ** ﴾ [الأنعام : ٧٩]، فقال الحجاج : اقلبوا ظهره إلى القبلة فقرأ سعيد : ﴿ **فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ** ﴾ [البقرة : ١١٥] ، فقال : كبوه على وجهه ، فقرأ سعيد : ﴿ **مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ** ﴾ [طه: ٥٥] ، فذبح من قفاه ، قال : فبلغ ذلك الحسن ابن أبي الحسن البصري فقال: اللهم يا قاصم

الجبابرة اقصم الحجاج ، فما بقي إلا ثلاثًا حتى وقع في جوفه الدود فمات[1] .

❑ ❑ ❑

(١) صفة الصفوة ص٤٥ ـ ٤٨ باختصار .

## كن على حذر

**إخواني !** ألا يعتبر المقيم منكم بمن رحل ؟ ألا يندم من يعلم عواقب الكسل؟

آه لغافل كلما جد الموتُ هزل ، ولعاقل كلما صعد العمرُ نزل .

**أعد على فكرك أسلاف الأمم**
**وقف على ما في القبور من رمَمْ**

**ونادهم أين القوي منكم**
**القاهر أم أين الضعيف المهتضم**

**تفاضلت أوصالهم فوق الثرى**
**ثم تساوت تحته كل قدم**

قــبـرُ الـبـخيــــل والكــريم واحــدُ
مـــا نفـع الـبـخـــلُ ولا ضرَّ الكرم

واعـــجــبًــا لغـــافل أمـــامــه
هجــــومُ مـــا لا يُتــقـى إذا هجمْ

إذا تخطَّـا على عـــهــد الصــبــا
أو الشبـــاب لم يفـتـه فـي الهـرَمْ

أمـا كـفى الإنسـان موتُ بعـضـه
وهو المشيبُ المستطير في اللمم

أيُّ خـلـيـلين أقـــــامـــــا أبـدًا
مـا افـترقـا وأيُّ حـبلِ مـا انصـرم

إن الـنجـــــوم الـدائرات أبـدًا
تضـحكُ من مـبــتـسم إذا ابتـسمْ

**إخواني :** بادروا آجالكم ، وحاذروا آمالكم، أما لكم عبرةُ فيمن مضى أما لكم ؟ ما هذا الغرور الذي قد أمالكم ؟ ستتركون على آمالكم . . ما لكم.

**إخواني :** صدقتم الأمل فكذبكم ، وأطعتم الهوى فعذبكم ، أما أنذركم السقم بعد الصحة ؟ والترحةُ بعد الفرحة ؟ في كل يوم يموت من أشباهكم ما يكفي في نعي أرواحكم ، ويحل بعقوقكم وفنائكم ما يخبركم عن شتاتكم وفنائكم ، فخذوا حذركم قبل النوائب ، فقد أتيتم من كل جانب ، وتذكروا سهر أهل النار في النار ، واحذروا فوت دار الأبرار ، وتخوَّفوا يوم الفصل بين الفريقين أن يصيبكم من البين البين[1] .

(١) المدهش ص٣٠٠ .

● يا من تُحصَى عليه اللفظة والنظرة ، مزق بيد الجد أثواب الفترة ، وتأهب فما تدري السير عشاء أو بكرة ، واعتبر بالقرباء ، فالعبرة تبعث العبرة، وتزود لسفرة ما مثلها سفرة ، واقنع باليسير فالحساب عسير على الذرة ، وإياك والحرام ، وانظر من أين الكسرة ؟ قبل أن تلقى بعدها في ظلمة حفرة.

**لا يغرنك الزمان بيسر**
**وسرور ولا يرعك بعسرة**

**إن مر الزمان يمحق عسر المرء**
**في لحظة ويُذْهب يسره**

**وسواء إذا انقضى يوم كسرى**
**في نعيم ويوم صاحب كسرة**[1]

(١) المدهش ص٣٠٤ .

## إنما تؤتى البيوت من أبوابها

**قال ابن الجوزي رحمه الله :**

شكا لي رجل من بغضه لزوجته ثم قال : ما أقدر على فراقها لأمور ، منها كثرة دَينها علي، وصبري قليل ، ولا أكاد أسلم من فلتات لساني في الشكوى ، وفي كلمات تعلم بغضي لها .

فقلت له : هذا لا ينفع وإنما تؤتى البيوت من أبوابها ، فينبغي أن تخلو بنفسك فتعلم أنها إنما سلطت عليك بذنوبك ، فتبالغ في الاعتذار والتوبة .

فأما التضجر والأذى لها فما ينفع كما قال

الحسن : إن الحجاج عقوبة من الله لكم ، فلا تقابلوا عقوبته بالسيف ، وقابلوها بالاستغفار .

واعلم أنك في مقام مبتلي ، ولك أجر بالصبر ﴿ **وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ** ﴾ [البقرة: ٢١٦] فعامل الله سبحانه بالصبر على ما قضى ، واسأله الفرج .

فإذا جمعت بين الاستغفار وبين التوبة من الذنوب ، والصبر على القضاء ، وسؤال الفرج ، حصلت ثلاثة فنون من العبادة تثاب على كل منها ، ولا تضيع الزمان بشيء لا ينفع ، ولا تحتل ظانًا منك أنك تدفع ما قدر ﴿ **وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ** ﴾ [الأنعام: ١٧]

وقد قيل لأبي عثمان النيسابوري : ما أرجى عملك عندك؟

قال : كنت في صبوتي يجتهد أهلي أن أتزوج فآبي . فجاءتني امرأة ، فقالت : يا أبا عثمان إني قد هويتك ، وأنا أسألك بالله أن تتزوجني ، فأحضرت أباها ـ وكان فقيرًا ـ فزوجني وفرح بذلك . فلما دخلت إليّ رأيتها عوراء عرجاء مشوهة .

وكانت لمحبتها لي تمنعني من الخروج ، فأقعد حفظًا لقلبها ، ولا أظهر لها من البغض شيئًا ، وكأني على جمر من الغضا من بغضها . فبقيت هكذا خمس عشرة سنة ، حتى ماتت ، فما من عملي شيء هو أرجى عندي من حفظي قلبها .

قلت له : فهذا عمل الرجال ، وأي شيء ينفع ضجيج المبتلى بإظهار البغض ؛ وإنما طريقه ما ذكرته لك من التوبة والصبر ، وسؤال الفرج .

وتذكر ذنوبًا كانت هذه عقوبتها ، فإن وقع

فرج في الحساب وإلا فاستعـمال الصبر على القضاء عـبادة ، وتكلف إظهـار المودة لهـا وإن لم تكن في قلبك تثبتُ عـلى هذا ، وليس للقيد ذنب فَـيُلامُ ، إنما ينبغي التشاغل مع مَن قيده ، والسلام[١] .



(١) صيد الخاطر ص٤١٠ ، ٤١١ .

## شجاعة شيخ الإسلام ابن تيمية

**قال ابن كثير رحمه الله :**

فحكي عن كلام شيخ الإسلام تقي الدين لقازان وشجاعته وجرأته عليه ، وأنه قال لترجمانه: قل لقازان : أنت تزعم أنك مسلم ، ومعك مؤذن ، وقاضي، وإمام ، وشيخ على ما بلغنا ، فغزوتنا، وبلغت بلادنا على ماذا ؟ وأبوك وجدك هولاكو كانا كافرين ، وما غزوا بلاد الإسلام ، بل جاهدوا قومنا ، وأنت عاهدت فغدرت ، وقلت فما وفيت .

قال : وجرت له مع قازان وقطلوشاه وبولاي

أمور ونوب قام ابن تيمية فـيها كلها لله ، وقال الحق ولم يخش إلا الله عزوجل .

قال : وقرب إليه جمـاعة طعامًا فأكلوا منه إلا ابن تيمية ، فقيل له : ألا تأكل ؟

فقال : كيف آكل من طعـامكم وكله مما نهبتم من أغنام الناس ، وطبختمـوه بما قطعتم من أشجار الناس ؟ قال : ثم إن قازان طلب منه الدعاء ، فقال في دعائه : «الـلهم إن كان هذا عبـدك محـمود إنما يقاتل لتكون كلمتك هي العليا وليكون الدين كله لله فانصره وأيده وملكه البلاد والعباد ، وإن كان إنما قام رياء وسمـعة وطلبًا للدنيـا ولتكون كلمتـه هي العليا وليذل الإسـلام وأهله فاخـذله ، وزلزله ، ودمره ، واقطع دابره. . . ».

قال : وقـازان يؤمن على دعائه ويرفع يديه ،

قال : فجعلنا نجمع ثيابنا خوفًا من أن تتلوث بدمه إذا أمر بقتله ، قال : فلما خرجنا من عنده قال له قاضي القضاة نجم الدين ابن صصري وغيره : كدت أن تهلكنا ، وتهلك نفسك ، والله لا نصحبك من هنا ، فقال : وأنا والله لا أصحبكم .

قال : فانطلقنا عصبة وتأخروا في خاصة نفسه ومعه جماعة من أصحابه ، فتسامعت به الخواقين والأمراء من أصحاب قازان فأتوه يتبركون بدعائه ، وهو سائر إلى دمشق ، وينظرون إليه ، قال: والله ما وصل إلى دمشق إلا في نحو ثلثمائة فارس في ركابه ، وكنت أنا من جملة من كان معه ، وأما أولئك الذين أبوا أن يصحبوه فخرج عليهم جماعة من التتر فشلحوهم عن آخرهم»[1] .

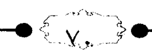
(١) البداية والنهاية (١٤/ ٨٩).

## المن بالعبادة

**قال ابن الجوزي رحمه الله :**

تأملت قوله عز وجل : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ ﴾ [الحجرات : ١٧] ، فرأيت فيه معنى عجيبًا . وهو أنهم لما وُهبت لهم العقول فتدبروا بها عيب الأصنام ، وعلموا أنها لا تصلح للعبادة ، فوجهوا العبادة إلى من فطر الأشياء ، كانت هذه المعرفة ثمرة العقل الموهوب الذي به باينوا البهائم .

فإذا آمنوا بفعلهم الذي ندب إليه العقل الموهوب ، فقد جهلوا قدر الموهوب ، وغفلوا عمن وهب .



وأي شيء لهم في الثمرة ، والشجر ليس ملكًا لهم ؟

فعلى هذا كل متعبد ومجتهد في علم إنما رأى بنور اليقظة ، وقوة الفهم والعقل صوابًا، فوقع على المطلوب ، فينبغي أن يوجه الشكر إلى من بعث له في ظلام الطبع القبس .

ومن هذا الفن حديث الثلاثة الذين دخلوا الغار ، فانحطت عليهم صخرة فسدت باب الغار ، فقالوا : تعالوا نتوسل بصالح أعمالنا ، فقال كل منهم : فعلت كذا وكذا[1].

وهؤلاء إن كانوا لاحظوا نعمة الواهب للعصمة عن الخطأ فتوسلوا بإنعامه عليهم الذي أوجب

(1) رواه البخاري (٢٢١٥).

تخصيصهم بتلك النعمة عن أبناء جنسهم فبه توسلوا إليه .

وإن كانوا لاحظوا أفعالهم ، فلمحوا جزاءها ظنًا منهم أنهم هم الذين فعلوا فهم أهل غيبة لا حضور ، ويكون جواب مسألتهم لقطع منتهم الدائمة .

ومثل هذا رؤية المتقي تقواه حتى إنه يرى أنه أفضل من كثير من الخلق ، وربما احتقر أهل المعاصي وتشمخ عليهم ، وهذه غفلة عن طريق السلوك ، وربما أخرجت.

ولا أقول لك خالط الفساق احتقارًا لنفسك ، بل اغضب عليهم في الباطن وأعرض عنهم في الظاهر، ثم تلمح جريان الأقدار عليهم ، فأكثرهم لا يعرف من عصى.

وجمهورهم لا يقصد العصيان ، بل يريد موافقة هواه ، وعزيز عليه أن يعصي وفيه من غلب تلمح العفو والحلم فاحتقر ما يأتي لقوة يقينه بالعفو .

وهذه كلها ليست بأعذار لهم ، ولكن تلمحه أنت يا صاحب التقوى ، واعلم أن الحجة عليك أوفى من الحجة عليهم ؛ لأنك تعرف من تعصي ، وتعلم ما تأتي .

بل انظر إلى تقليب القلوب بين إصبعين ، فربما دارت الدائرة فصرت المنقطع ووصل المقطوع .

فالعجب ممن يدلُّ بخير علمه ، وينسى من أنعم ووفق[1] .



(١) صيد الخاطر ص١٢٥، ١٢٦ .

## علامات السعادة والشقاوة

ومن علامات السعادة والفلاح : أن العبد كلما زيد في علمه زيد في تواضعه ورحمته ، وكلما زيد في عـمله زيد في خوفـه وحذره ، وكلمـا زيد في عمره نقص من حرصه، وكلما زيد في ماله زيد في سخائه وبذله ، وكلما زيد قدره وجاهه زيد في قربه من الناس وقضاء حوائجهم والتواضع لهم .

وعلامات الشقاوة : أنه كلما زيد في علمه زيد في كبـره وتيهـه ، وكلما زيد فـي عمله زيد فـخره واحتقاره للناس وحـسن ظنه بنفسه ، وكلما زيد في عمره زيد في حرصـه ، وكلما زيد في ماله زيد في

بخله وإمساكه ، وكلما زيد في قدره وجاهه زيد في كبره وتيهه ، وهذه الأمور ابتلاء من الله وامتحان يبتلي بها عباده فيسعد بها أقوام ويشقى بها أقوام .

وكذلك الكرامات امتحان وابتلاء ، كالملك والسلطان والمال ، قال الله تعالى عن نبيه سليمان لما رأى عرش بلقيس عنده : ﴿قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل : ٤٠].

فالنعم ابتلاء من الله وامتحان يظهر بها شكر الشكور، وكفر الكفور ، كما أن المحن بلوى منه سبحانه ، فهو يبتلي بالنعم كما يبتلي بالمصائب ، قال تعالى : ﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلاَّ﴾ [الفجر : ١٥ ـ ١٧]

أي ليس كل من وسعت عليه وأكرمته ونعمته

يكون ذلك إكرامًا مني له ، ولا كل من ضيقت عليه رزقه وابتليته يكون ذلك إهانة مني له[1].

❑ ❑ ❑

(١) الفوائد ص١٦٢ .

## الجزاء من جنس العمل

● **أحمد بن أبي دواد الإيادي :**

المعتزلي قاضي المعتصم ، الذي جر البلاد إلى محنة خلق القرآن ، وبسببه أهين علماء الأمة وعذبوا وسجنوا وقتلوا .

بسبب ابن أبي دواد هذا قتل أحمد بن نصر الخزاعي ، وسجن الإمام أحمد وعُذِّب بالسياط ، ودعا عليه الإمام أحمد ، فحبسه الله في جسده كما حبس الإمام ، ودخل عليه وعاده عبد العزيز الكناني ، وقال له : لم آتك عائدًا ، بل لأحمد الله أن سجنك في جلدك[1] .

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٠، ١٧١).

قال ابن كـثير : ابتـلاه الله بالفالج قـبل موته بأربع سنين حتى بقي طريحًا في فراشه ، لا يستطيع أن يحـرك شيـئًـا من جـسده ، وحـرم لذة الطعـام والشـراب والنكاح ، وغـيـــر ذلك ، جـعل نصف جسـده لو سقط عليه ذباب فكأنما نهـشته السـباع ، والنصف الآخر لو نهشته السباع لم يحس به[1].

وقد دخل عليه بعـضهم فقال : والله مـا جئتك عائدًا ، وإنما جـئتك لأعـزيك في نفسك ، وأحـمد الله الذي سجنـك في جسدك الذي هو أشـد عليك عقوبـة من كل سجن، ثم خرج عنه داعيًـا عليه بأن يزيده الله ولا ينقصـه مما هو فيه، فازداد مـرضًا إلى مـرضـه، وقـد صـودر في العـام الماضي سنة ٢٣٨ بأموال جزيلة جدًا، ولو كان يحمل العقوبة لوضعها

(١) البداية والنهاية (١٠/ ٣٣٥، ٣٣٦) .

عليه المتوكل ، وكذا ابنه أبو الوليد محمد ، صودر بألف ألف دينار ومائتي دينار ومات قبل أبيه بشهر[1] .

انظر كيف أذله الله وحبسه في جسده ، وأهين قبل موته ، والجزاء من جنس العمل .

قال الإمام أحمد : قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز حين تمر ، فلما مات إمام أهل السنة كانت جنازته أكبر جنازة في التاريخ .

قال عبد الوهاب الوراق : ما بلغنا أنه كان للمسلمين جمع أكثر منهم على جنازة أحمد بن حنبل إلا جنازة كانت في بني إسرائيل[2] .

ولما أنزلت رأس أحمد بن نصر على الصليب

(١) البداية والنهاية (٦/ ٣٣٦).

(٢) مناقب الإمام أحمد ص٥٠٤ .

كان يومًا مـشهودًا وصدق الله قول أحمـد ، فأحمد ابن أبي دواد وهو قاضي قضاة الدنيا لم يحتفل أحد بموته ، ولم يلتفت إليه ، ولما مات ما شيعه إلا قليل من أعوان السلطان[1] .

❑ ❑ ❑

(١) البداية والنهاية (١٠/٣٥٦) .

## فضائل الصلاة على رسول الله ﷺ

**١- صلاة بصلوات :**

قال رسول الله ﷺ : **«من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشراً»**[1] .

وقال ﷺ : **«ما من عبد يصلي عليَّ إلا صلت عليه الملائكة ما دام يصلي عليَّ فليقل العبد من ذلك أو ليكثر»**[2] .

(١) رواه مسلم (٤٠٨) .

(٢) **حسن**. رواه أحمد وابن ماجة والضياء، صحيح الجامع (٥٧٤٤) .

**٢ـ رفع للدرجات وحط للسيئات :**

قال رسول الله ﷺ : «**من صلى عليَّ صلاة واحدة ؛ صلى الله عليه عشر صلوات ، وحط عنه عشر خطيئات ، ورفعت له عشر درجات**»[١] .

**٣ـ كفاية الهموم ومغفرة الذنوب :**

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال : «**يا أيها الناس اذكروا الله ، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه ، جاء الموت بما فيه**» ، قال أُبي : قلت يا رسول الله : إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي ؟ فقال : «**ما شئت**» ، قال : قلت : الربع ؟ قال : «**ما شئت ، فإن زدت فهو خير لك**» ، قلت : النصف ؟ قال : «**ما شئت فإن**

(١) **صحيح**. رواه النسائي (١٢٩٧) .

**زدت فهو خير لك»** ، قال : قلت : فالثلثين ؟ قال : **«ما شئت ، فإن زدت فهو خير لك»** ، قلت : أجعل لك صلاتي كلها ؟ قال : **«إذًا تكفى همك ، ويغفر لك ذنبك»** (١) .

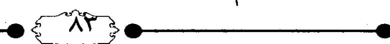
### ٤ـ سبب لنيل شفاعته ﷺ :

قال رسول الله ﷺ : **«إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول ، ثم صلوا عليَّ ، فإنه من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشرًا ، ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة ، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة»** (٢) .

---

(١) **حسن**. رواه الترمذي (٢٤٥٧) .

(٢) رواه مسلم (٣٨٤) .



وقال ﷺ : «من صلى عليَّ حين يصبح عشرًا ، وحين يمسي عشرًا ، أدركته شفاعتي يوم القيامة»[1] .

**٥ـ سبب لعرض اسم المصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم :**

قال رسول الله ﷺ : «أكثروا الصلاة عليَّ ، فإن الله وكل بي ملكًا عند قبري ، فإذا صلى عليَّ رجل من أمتي قال لي ذلك الملك : يا محمد إن فلان ابن فلان صلى عليك الساعة»[2].

وقال ﷺ : «إن لله تعالى ملائكة سياحين

(١) **صحيح**. رواه الطبراني، صحيح الجامع (٦٣٥٧).

(٢) **حسن**. رواه الديلمي في مسند الفردوس، صحيح الجامع (١٢٠٧) .

في الأرض يبلغوني من أمتي السلام»[1].

**٦- طهرة من لغو المجلس:**

قال رسول الله ﷺ: «ما اجتمع قوم ثم تفرقوا عن غير ذكر الله وصلاة على النبي ﷺ إلا قاموا عن أنتن من جيفة»[2].

**٧- سبب في إجابة الدعاء:**

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «كل دعاء محجوب حتى يصلى على النبي ﷺ»[3].

---

(١) **صحيح**. رواه أحمد والنسائي وابن حبان والحاكم، صحيح الجامع (٢١٧٤).

(٢) **صحيح**؛ رواه الطيالسي والبيهقي والضياء، صحيح الجامع (٥٥٠٦).

(٣) **حسن**. رواه الطبراني في الأوسط، صحيح الجامع (٤٥٢٣).

**٨- انتفاء الوصف بالبخل والجفاء:**

قال رسول الله ﷺ: «**البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي**»[١].

وعن الحسن البصري رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**بحسب امرئ من البخل أن أُذكر عنده فلا يصلي عليّ**»[٢].

❐ ❐ ❐

(١) **صحيح**. رواه الترمذي (٣٥٤٦).

(٢) رواه إسماعيل بن إسحاق في كتابه «فضل الصلاة على النبي ﷺ» ص٤٣، وقال الألباني: «إسناده صحيح مرسل».

## صك بشراء دار

قال الفيض بن إسحاق : اشتريت دارًا ، وكتبت كتابًا ، وأشهدت عدولاً فبلغ ذلك الفضيل ابن عياض ، فأرسل إليَّ يدعوني فلم أذهب ، ثم أرسل إليَّ ، فمررت إليه ، فلما رآني قال :

يا ابن يزيد : بلغني أنك اشتريت دارًا ، وكتبت كتابًا ، وأشهدت عدولاً .

قلت : قد كان ذلك .

قال : فإنه يأتيك من لا ينظر في كتابك ، ولا يسأل عن بيتك ، حتى يخرجك منها شاخصًا ، يسلمك إلى قبرك خالصًا .



فانظر أن لا تكون اشتريت هذه الدار من غير مالك، أو ورثت مالاً من غير حله ، فتكون قد خسرت الدنيا والآخرة . ولو كنت حين اشتريت ، وكتبت على هذه النسخة : هذا ما اشترى عبد ذليل ، من ميت قد أزعج بالرحيل ، اشترى منه دارًا تعرف بدار الغرور ، حد منها في زقاق الفناء إلى عسكر الهالكين ، ويجمع هذه الدار حدود أربعة :

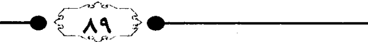
الحد الأول : ينتهي منها إلى دواعي العاهات . الحد الثاني : ينتهي إلى دواعي المصيبات . الحد الثالث : ينتهي منها إلى دواعي الآفات . الحد الرابع : ينتهي إلى الهوى المردي ، والشيطان المغوي ، وفيه باب هذه الدار على الخروج من عز الطاعة إلى الدخول في ذل الطلب .

فما أدركك في هذه الدار ، فعلى مبلبل أجسام

الملوك ، وسالب نفوس الجبابرة ، ومزيل ملك الفراعنة ، مثل كسرى وقيصر ، وتبع وحمير ، ومن جمع المال فأكثر ، واتخذ ـ ونظر بزعمه ـ الولد ، ومن بنى وشيد وزخرف ، وأشخصهم إلى موقف العرض إذا نصب الله عز وجل كرسيه لفصل القضاء ، وخسر هنالك المبطلون .

يشهد على ذلك العقل ، إذا خرج من أسر الهوى، ونظر بالعينين إلى زوال الدنيا ، وسمع صارخ الزهد عن عرصاتها .

ما أبين الحق لذي عينين ، إن الرحيل أحد اليومين ، فبادروا بصالح الأعمال ، فقد دنا النقلة والزوال[1] .



(١) مواعظ الفضيل ص٥٢ ـ ٥٤ .

## الكفر وأنواعه

**الكفر نوعان :** كفر أكبر مخرج من الملة ، ويسمى الكفر الاعتقادي ، وكفر أصغر غير مخرج من الملة، ويسمى الكفر العملي .

**أولاً: الكفر الأكبر:**

هو ما يناقض الإيمان ، ويبطل الإسلام ، وجحد ما لا يتم الإسلام بدونه ، وهو موجب للخلود في النار ، ومخرج من الإيمان ، ويكون بالاعتقاد والقول والفعل، وينحصر في خمسة أنواع:

**١- كفر التكذيب:** هو اعتقاد كذب الرسل ، أو ادعاء أن الرسول جاء بخلاف الحق ، أو من ادعى

أن الله حرم شيئًا أو أحله مع علمه ، بأن ذلك خلاف أمر الله ونهيه .

**٢- كفر الإباء والاستكبار مع التصديق :** وذلك بأن يقر أن ما جاء به الرسول حق من ربه ، ولكنه يرفض اتباعه أشرًا وبطرًا واحتقارًا للحق وأهله ، ككفر إبليس فإنه لم يجحد أمر الله ولم ينكره ، ولكن قابله بالإباء والاستكبار .

**٣- كفر الإعراض :** بأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول لا يصدقه ولا يكذبه ، ولا يواليه ، ولا يعاديه ، ولا يصغي إليه البتة ، ويترك الحق ولا يتعلمه ولا يعمل به ، ويهرب من الأماكن التي يذكر فيها الحق فهو كافر كفر إعراض .

**٤- كفر الشك :** بأن لا يجزم بصدق النبي ولا كذبه ، بل يشك في أمره ، ويتردد في اتباعه ، إذ

المطلوب هو اليقين بأن ما جاء به الرسول من ربه حق لا مرية فيه ، فمن تردد في اتباعه لما جاء به الرسول ، أو جوَّز أن يكون الحق خلافه ، فقد كَفر كُفر شك وظن.

٥. **كفر النفاق :** وهو إظهار متابعة ما جاء به الرسول مع رفضه وجحده بالقلب ، فهو مظهر للإيمان به مبطن للكفر .

وهذه الأنواع من الكفر ، موجبة للخلود في النار ، ومحبطة لجميع الأعمال ، إذا مات صاحبها عليها ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة : ٦].

وقال : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥].

**ثانيًا: الكفر الأصغر:**

أطلق عليه الشارع لفظ الكفر على سبيل الزجر والتهديد ، وهو من كبائر الذنوب ، الموجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود في النار، ومن الأمثلة على ذلك :

قتال المسلم ، أو الحلف بغير الله تعالى ، أو إتيان الكهان وتصديقهم ، أو قول المؤمن لأخيه يا كافر ، وغيرها من صور الكفر الأصغر ، قال الله تعالى : ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩].

وقال النبي ﷺ : «سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر»[1].

(١) رواه البخاري (٦٠٤٤) .

وقـــال : «لا ترجـعوا بعـدي كفاراً يـضرب بعضكم رقاب بعض»[1].

وقــال : «من حلف بغـير الله فقـد أشرك ، أو كفر»[2].

وقال : «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسـرق الـسـارق حين يسـرق وهـو مـؤمن ، ولا يشـرب الخـمر حين يـشربهـا وهو مـؤمن ، والتـوبة معروضة بعد»[3].

❑ ❑ ❑

(١) رواه البخاري (٤٤٠٣).

(٢) **صحيح**. رواه أبو داود (٣٢٥١).

(٣) رواه البخاري (٦٨١٠).

## ❑ ● ❑ حكم متفرقة ❑ ● ❑

١ ـ إياك والغفلة عمن جعل لحياتك أجلاً ولأيامك وأنفاسك أمدًا ومن كل ما سواه ولابد لك منه .

٢ ـ المتوكل لا يسأل غير الله ولا يرد على الله ولا يدخر مع الله .

٣ ـ من شُغل بنفسه شُغل عن غيره ، ومن شغل بربه شغل عن نفسه .

٤ ـ الإخلاص هو ما لا يعلمه ملك فيكتبه ولا عدو فيفسده ولا يعجب به صاحبه فيبطله .

٥ ـ الرضا سكون القلب تحت مجاري الأحكام .



٦ ـ الناس في الدنيا معـذبون على قدر هممهم بها .

٧ ـ للقلب ستـة مواطن يجـول فيهـا لا سابع لهـا، ثلاثة سافلة وثلاثة عـالية ، فـالسافلة : دنـيا تتزين له ، ونفس تحدثه ، وعدو يوسوس له ، فهذه مواطن الأرواح السافلة التي لا تزال تجول فيها .

والثلاثة العالية : علم يتبين له ، وعقل يرشده ، وإله يعبده ، والقلوب جوالة في هذه المواطن .

٨ ـ اتباع الهوى وطول الأمل مادة كل فساد ، فإن اتبـاع الهوى يعمي عن الحق مـعرفة وقـصدًا ، وطول الأمل ينسي الآخرة ويصد عن الاستعداد لها.

٩ ـ إذا أراد بعبد خيرًا جعله معترفًا بذنبه ممسكًا عن ذنب غيره، جوادًا بما عنده زاهدًا فـيما عند غيره

محـتملاً لأذى غيـره ، وإن أراد به شرًا عكس ذلك عليه .

١٠ ـ من عشق الدنيـا نظرت إلى قدرها عنده فصيـرته من خدمها وعبيـدها وأذلته ، ومن أعرض عنها نظرت إلي كبر قدره فخدمته وذلت له .

١١ ـ الهمة العاليـة لا تزال حائمة حول ثلاثة أشياء: تعرف لصفة من الصفات العليا تزداد بمعرفتها ـ محبة وإرادة ، ومـلاحظة لمنة تزداد بملاحظتها شكرًا وطاعة، وتذكر لذنب تزداد بتذكره توبة وخشية .

فإذا تعلقت الهمة بسوى هذه الثلاثة جالت في أودية الوساوس والخطرات .

١٢ ـ إنما يقطع السـفـر ويصل المســافـر بلزوم الجادة وسير الليل، فإذا حاد المسافر عن الطريق ونام

الليل كله فمتى يصل إلى مقصده ؟[1]

❑ ❑ ❑

(١) الفوائد ص١٠٦، ١٠٧ .

## خوف هارون الرشيد

قال له ابن السماك يومًا : إنك تموت وحدك ، وتدخل القبر وحدك ، وتبعث منه وحدك ، فاحذر المقام بين يدي الله عز وجل ، والوقوف بين الجنة والنار ، وحين يؤخذ بالكظم - أي : مخرج النفس من الحلق - وتزل القدم ، ويقع الندم ، فلا توبة تقبل ، ولا عثرة تقال، ولا يقبل فداء بمال ، فجعل الرشيد يبكي حتى علا صوته ، فقال يحيى بن خالد له : يا ابن السماك ، لقد شققت على أمير المؤمنين الليلة ، فقام فخرج من عنده وهو يبكي.

وقال له الفضيل بن عياض في كلام كثير ليلة وعظه بمكة :

يا صبيح الوجه إنك مسئول عن هؤلاء كلهم ، وقد

قال تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦].

قال: حدثنا ليث، عن مجاهد: الصلات التي كانت بينهم في الدنيا، فبكى حتى جعل يشهق.

قال الفضيل: استدعاني الرشيد يومًا وقد زخرف منازله وأكثر الطعام والشراب واللذات فيها، ثم استدعى أبا العتاهية، فقال له: صف لنا ما نحن فيه من العيش والنعيم فقال:

**عش ما بدا لك سالما**
**في ظل شاهقة القصور**
**تسعى عليك بما اشتهيت**
**لدى الرواح إلى البكور**
**فإذا النفوس تقعقعت**
**عن ضيق حشرجة الصدور**
**فهناك تعلم موقنًا**
**ما كنت إلا في غرور**

## عليكم بالجهاد في سبيل الله

قال رسول الله ﷺ : «عليكم بالجهاد في سبيل الله ؛ فإنه من أبواب الجنة ، يذهب الله به الهم والغم»[1] .

وقال ﷺ : «إن في الجنة مائة درجة ، أعدها الله تعالى للمجاهدين في سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض»[2] .

(١) **صحيح**. رواه الطبراني، صحيح الجامع (٤٠٦٣) .

(٢) رواه البخاري (٢٧٩٠) .

قال : فبكى الرشيد بكاء كثيرًا شديدًا ، فقال له الفضل بن يحيى : دعاك أمير المؤمنين تسره فأحزنته ؟ فقال له الرشيد : دعه فإنه رآنا في عمى فكره أن يزيدنا عمى . ومن وجه آخر أن الرشيد قال لأبي العتاهية : عظني بأبيات من الشعر وأوجز فقال :

**لا تأمن الموت في طرف ولا نفس**
**ولو تمتعت بالحُجَّاب والحرس**
**واعلم بأن سهام الموت صائبة**
**لكل مدرّعٍ منها ومترّس**
**ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها**
**إن السفينة لا تجري على اليبس**

**قال : فخر الرشيد مغشيًا عليه**[1] .

---

(١) البداية والنهاية (١٠/ ١٨٠، ١٨١).

قال ﷺ : «لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري مسلم أبدًا»[1].

قال محمد بن إبراهيم بن أبي سكينة : أملى علي عبد الله بن المبارك هذه الأبيات بطرسوس ، وأرسلها معي إلى أهل مكة إلى الفضيل بن عياض سنة سبع وسبعين ومائة ، وهي :

**يا عابد الحرمين لو أبصرتنا**
**لعلمت أنك في العبادة تلعبُ**
**من كان يخضب خده بدموعه**
**فنحورنا بدمائنا تتخضب**
**أو كان يتعب خيله في باطل**
**فخيولنا يوم الصبيحة تتعب**

(١) **صحيح**. رواه النسائي (٣١١٣) .

**ريح العـبير لكـم ونحن عبـيرنا**

**رهج السنابك والغبـار الأطيب**

**ولقـد أتانا مـن مـقـال نبـينا**

**قـول صحـيح صـادق لا يكذب**

**لا يستـوي غبـار خـيل الله في**

**أنف امـرئ ودخـان نـار تلهب**

**هذا كـتـاب الله ينطـق بيننا**

**ليس الشـهـيـد بميت لا يكذب**

قال : فلقيت الفضيل بكتابه ، فلما قرأه ذرفت عيناه ، ثم قال : صدق أبو عبد الرحمن ، ونصحني[1] .

قال رسول الله ﷺ : «**يقول الله تعالى :**

---

(١) الزهد لابن المبارك بتحقيق أحمد فريد ص ٦٢ .

المجاهد في سبيلي هو ضامن إن قبضته أورثته الجنة ، وإن رجعته رجعته بأجر وغنيمة»[1] .

وقال ﷺ : «من مات ، ولم يغزُ ، ولم يحدث به نفسه ؛ مات على شعبة من النفاق»[2] .

وقال ﷺ : «إذا تبايعتم بالعينة ، وأخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد ؛ سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم»[3] .

❑ ❑ ❑

(١) **صحيح**. صحيح الجامع (٨١٣٥).

(٢) رواه مسلم (١٩١٠) .

(٣) **صحيح**. رواه أبو داود (٣٤٦٢) .

## عبد الله بن سلام رضي الله عنه

عن أنس : أن عبد الله بن سلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة ، فقال : يا رسول الله ! إني سائلك عن ثلاث خصال ، لا يعلمها إلا نبي ، قال : «سل» ، قال : ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول ما يأكل منه أهل الجنة ؟ ومن أين يشبه الولد أباه وأمه ؟ قال رسول الله ﷺ : «**أخبرني بهن جبريل آنفًا**» قال : جبريل ؟! ذاك عدو اليهود من الملائكة ، قال : «**أما أول أشراط الساعة** : فنار تخرج من المشرق تحشر الناس إلى المغرب ، وأما

أول ما يأكل منه أهل الجنة : فزيادة كبد الحوت ، وأما شبه الولد أباه وأمه : فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع إليه الولد ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع إليها» قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، وقال : يا رسول الله ! إن اليهود قوم بهت ، إنهم إن يعلموا بإسلامي يبهتوني عندك ، فأرسل إليهم فسلهم عن أي رجل عبد الله بن سلام فيكم ؟ قال : فأرسل إليهم ، فقال : «أي رجل عبد الله بن سلام فيكم ؟» قالوا : خيرنا ، وابن خيرنا ، وعالمنا وابن عالمنا ، وأفقهنا وابن أفقهنا ، قال : «أرأيتم إن أسلم تسلمون ؟» قالوا : أعاذه الله من ذلك ، قال : فخرج ابن سلام فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، قالوا : شرنا وابن شرنا ، وجاهلنا وابن جاهلنا ، فقال ابن سلام : هذا الذي كنت أتخوف منهم[1] .

---

(١) رواه البخاري (٣٩٣٨) .

وأخرجا في «الصحيحين» من حديث قيس بن عبادة قال : كنت جالسًا في مسجد المدينة في ناس فيهم بعض أصحاب النبي ﷺ ، فجاء رجل في وجهه أثر خشوع ، فقال بعض القوم : هذا رجل من أهل الجنة ، فصلى ركعتين تجوز فيهما ، ثم خرج فاتبعته فدخل منزله فدخلت فأخبرته ، فقال : لا ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم ، وسأحدثك لم ذاك ؟ رأيت رؤيا على عهد رسول الله ﷺ فقصصتها عليه ، رأيتني في روضة ، وسط الروضة عمود من حديد ، أسفله في الأرض ، وأعلاه في السماء ، وفي أعلاه عروة ، فقيل لي ارقه ، فقلت: لا أستطيع ، فجاءني منصف ـ يعني خادمًا ـ فقال بثيابي من خلفي ، فأخذت بالعروة ، فقصصتها على رسول الله ﷺ فقال : «**تلك الروضة : الإسلام ، وذاك العمود : عمود الإسلام ، وتلك العروة**

: الوثقى ، وأنت على الإسلام حتى تموت ، والرجل : عبد الله بن سلام»[1] .

❐ ❐ ❐

(١) رواه البخاري (٧٠١٤)، ومسلم (٢٤٨٤) .

## إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا

اعلم أن طلب الحلال فـرض على كل مسلم، وقد ادعى كثـير من الجهال عـدم الحلال ، وقالوا : لم يبق منه إلا الماء الفـرات والحشيش النبـات ، وما عدا ذلك فقد أفسدته المعاملات الفاسدة.

فلما وقع لهم ذلك ، وعلموا أنه لابد لهم من الأقوات توسعوا في الشبهة والحرام ، وهذا من الجهل وقلة العلم[1].

قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ

(١) مختصر منهاج القاصدين ص٩٤ .

وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون : ٥١] والطيبات : الحلال ، فأمر بذلك قبل العمل ، وقال في ذم الحرام : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ .

[البقرة : ١٨٨]

قال رسول الله ﷺ : «الحلال بيِّن، والحرام بيِّن، وبينهما أمور مشتبهات»(١) .

وقال ﷺ : «أيها الناس ! إن الله طيب ، لا يقبل إلا طيبًا ... ثم ذكر الرجل يطيل السفر ، أشعث ، أغبر ، يمد يديه إلى السماء : يا رب ! يا رب ! ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذي بالحرام ، فأنى يستجاب لذلك»(٢) .

وقال حذيفة المرعشي : انظر خبزك ، من أين

---

(١) رواه البخاري (٥٢) .

(٢) رواه مسلم (١٠١٥) .

تأكل ؟ ولا تجالس من يرخص لك ويعطيك[1] .

وقال يوسف بن أسباط : إذا تعبد الشاب قال إبليس : انظروا من أين مطعمه ؟ فإن كان مطعمه مطعم سوء ، قال : دعوه لا تشتغلوا به ، دعوه يجتهد وينصب فقد كفاكم.

**المال يذهب حله وحرامه**
**يومًا وتبقى في غد آثامه**
**ليس التقي بمتق لإلهه**
**حتى يطيب شرابه وطعامه**
**ويطيب ما يحوي ويكسب كفه**
**ويكون في حسن الحديث كلامه**
**نطق النبي لنا به عن ربه**
**فعلى النبي صلاته وسلامه**

(١) صفة الصفوة (٢/٤١٣) .

## تلبيس إبليس على الغزاة

**قال ابن الجوزي رحمه الله :**

قد لبس إبليس على خلق كثير فخرجوا إلى الجهاد ، ونيتهم المباهاة والرياء ؛ ليقال : فلان غاز ، وربما كان المقصود أن يقال : شجاع ، أو كان طلب الغنيمة ، وإنما الأعمال بالنيات.

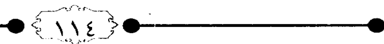
وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ! أرأيت الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياءً ، فأي ذلك في سبيل الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : **«من قاتل لتكون كلمة الله العليا فهو في سبيل الله»** [1]

(١) رواه البخاري (٢٨١٠).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : إياكم أن تقولوا : مات فلان شهيدًا ، أو قتل فلان شهيدًا ؛ فإن الرجل ليقاتل ليغنم ، ويقاتل ليذكر ، ويقاتل ليُرى مكانه[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : «إن أول الناس يقضى ـ يوم القيامة ـ عليه : رجل استشهد ، فأتي به فعرَّفه نعمه ، فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال : كذبت ، ولكنك قاتلت ليقال جريء ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن ، فأتي به فعرفه نعمه ، فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن ، قال :

(١) فتح الباري (٦/ ١٠٥).



كذبت ، ولكنك تعلمت العلم ليقال : عالم ، وقرأت القرآن ليقال : هو قارئ ، فقد قيل ، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار ، ورجل وسع الله عليه ، أعطاه من أصناف المال كله ، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال : هو جواد ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار»[1] .

❑ ❑ ❑

(١) رواه مسلم (١٩٠٥) .

## كونوا عباداً لله ربانيين

كونوا عباداً لله ربانيين تعلمون الناس ما يجهلون ، وتأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر.

**قال ابن تيمية:**

«العبادة هي : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»[1].

**وقال أيضًا :**

ومن عبد الله بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد [2]. ومن كان عبدًا لله أبى أن يكون عبدًا لسواه .

(١) العبودية ص ٣٨ .

(٢) العبودية ص١٢٨ .



والرباني من اجتمعت فيه ثلاث خصال ، وهي : العلم ، والعمل ، والتعليم ، فاحرصوا يا أيها الأبرار ، على طلب العلم ما حييتم ، وليكن طلبكم العلم وسيلة للعمل الصالح .

**قال الحسن البصري رحمه الله :**

لولا العلماء ؛ لصار الناس كالبهائم[1] .

اعلم أن العامل بلا علم كالسائر بلا دليل ، ومعلوم أن عطب مثل هذا أقرب من سلامته اتفاقًا نادرًا فهو غير محمود بل مذموم عند العقلاء ، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يقول : من فارق الدليل ضل السبيل ، ولا دليل إلا بما جاء به الرسول ﷺ .

● قال الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه»

(١) مختصر منهاج القاصدين .

ونقل ذلك ابن القيم في «مفتاح دار السعادة» :

فالعالم الرباني هو : الذي لا زيادة على فضله لفاضل ، ولا منزلة فوق منزلته لمجتهد ، وقد دخل في الوصف له بأنه رباني وصفه بالصفات التي يقتضيها العلم لأهله ، ويمنع وصفهُ بما يخالفها .

ومعنى الرباني في اللغة : الرفيع الدرجة في العلم ، العالي المنزلة فيه ، وعلى ذلك حملوا قوله تعالى : ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ﴾ [المائدة: ٦٣] ، وقوله : ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ [آل عمران : ٧٩] ، قال ابن عباس : حكماء فقهاء .

وقال أبو رزين : فقهاء علماء . وقال أبو عمرو الزاهد : سألت ثعلبًا عن هذا الحرف ، وهو الرباني فقال : سألت ابن الأعرابي فقال : إذا كان الرجل عالمًا عاملاً معلمًا قيل له : هذا رباني ، فإن خرم

عن خصلة منها لم نقل له : رباني[1] .

**قال ابن كثير رحمه الله :**

والربانيون هم : العلماء العمال أرباب الولايات عليهم ، والأحبار هم : العلماء فقط... خطب علي بن أبي طالب رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ! إنما هلك من كان قبلكم بركوبهم المعاصي ، ولم ينههم الربانيون والأحبار ، فلما تمادوا في المعاصي أخذتهم العقوبات ، فمُروا بالمعروف ، وانهوا عن المنكر ، قبل أن ينزل بكم مثل الذي نزل بهم ، واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقًا ، ولا يقرب أجلاً [2] .

(١) الفقيه والمتفقه (١/ ٥١)، ومفتاح دار السعادة (١/ ١٢٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ١٠٤) .

**● جزاء العلماء الربانيين:**

إنما تعظم الجائزة على قدر عظم المهمة ، ولما كان لطلب العلم الشرعي منزلة عظيمة في هذا الدين ، فقد أعد الله للعلماء وطلاب العلم الربانيين الصادقين ، ثوابًا عظيمًا جزيلاً إذا سمعته قلوب المؤمنين اهتزت فرحًا وطربًا له ، واشتاقت إلى نيله وتحصيله ، فهلم يا أخا الإسلام لنتأمل معًا في الجوائز والنفائس التي تنتظر أهل العلم الصادقين.

قال رسول الله ﷺ : «**من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة**»[1] .

وقال ﷺ : «**فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن**

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩) .

**العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا درهمًا ولا دينارًا ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»**[1] .

وبلغ من منزلة أهله عند الله ـ جل في علاه ـ أن كل شيء في الأرض، وفي السماء يستغفر لهم ، حتى البهائم والدواب .

قال رسول الله ﷺ : «**إن الله وملائكته ـ حتى النملة في جحرها ، وحتى الحوت في البحر ـ ليصلون على معلم الناس الخير**»[2] .

---

(١) **صحيح**. رواه أبو نعيم في الحلية عن معاذ ، صحيح الجامع (٤٢١٢) .

(٢) **صحيح**. رواه الطبراني في الكبير والضياء ، صحيح الجامع (١٨٣٨) .

وقال ﷺ : «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له»[1] .

وقال ﷺ : «من جاء مسجدي هذا ، لم يأته إلا لخير يتعلمه ، أو يُعلمه ، فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله»[2] .



(١) **متفق عليه**.

(٢) **صحيح**. رواه ابن ماجه (٢٢٧) .

## آداب النوم

١ ـ أن لا يؤخر نومه بعد صلاة العشاء، إلا لضرورة كمذاكرة علم، أو محادثة ضيف، أو مؤانسة أهل، لِمَا روى أبو بريزة أن النبي ﷺ كان يكره النوم قبل صلاة العشاء، والحديث بعدها[1] .

٢ ـ أن يجتهد في أن لا ينام إلا على وضوء، وأن ينام ابتداءً على شقه الأيمن، ولا بأس أن يتحول إلى شقه الأيسر، قال رسول الله ﷺ: «**إذا أتيت مضجعك، فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن**»[2] .

(١) رواه البخاري ( ٥٦٨).

(٢) رواه البخاري (٢٤٧) .

٣ ـ أن لا يضطجع على بطنه أثناء نومه ليلاً ولا نهارًا؛ لأن النبي نهى عن هذه الضجعة.

٤ ـ عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة، جمع كفيه، ثم نفث فيهما، فقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١] ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه، ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات[1].

**٥ ـ أن يأتي بالأذكار الواردة، ومنها:**

● قال رسول الله ﷺ: **«ألا أدلك على ما هو خير من خادم؟ تسبحين ثلاثًا وثلاثين، وتحمدين**

(١) رواه البخاري (٥٠١٧).

**ثلاثًا وثلاثين، وتكبرين أربعًا وثلاثين، حين تأخذين مضجعك»**[1].

- قراءة آية الكرسي وخاتمة سورة البقرة لِمَا ورد من الترغيب في ذلك.

- أن يجعل آخر ما يقوله هذا الدعاء الوارد عن النبي ﷺ: **«اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت»**[2].

- أن يقول: **«باسمك اللهم، أموت وأحيا»**[3].

---

(١) رواه مسلم (٢٧٢٨).

(٢) رواه البخاري (٢٤٧).

(٣) رواه مسلم (٢٧١٠).

- «اللهم قني عذابك، يوم تبعث عبادك»[١] .

- «باسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه، فإن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»[٢] .

- «الحمد لله، الذي أطعمنا ، وسقانا، وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي»[٣] .

- أن يقول إذا استيقظ أثناء نومه: لا إله إلا الله، وحده، لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، وليدع بما شاء فإنه يستجاب له؛ لقوله ﷺ: «من

(١) **صحيح**. رواه الترمذي (٣٣٩٨) .

(٢) رواه البخاري (٦٣٢٠) .

(٣) رواه مسلم (٢٧١٥).

تعار بالليل فقال حين يستيقظ ... إلخ، ثم دعا؛ استجيب له، فإن قام فتوضأ وصلى قبلت صلاته»[1].

● أن يأتي بالأذكار الآتية إذا هو أصبح:

أن يقول إذا استيقظ، وقبل أن يقوم من فراشه: «الحمد لله، الذي أحيانا بعدما أماتنا، وإليه النشور»[2].

● أن يرفع طرفه إلى السماء ويقرأ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ...﴾ الآيات العشر من خاتمة آل عمران، إذا هو قام للتهجد؛ لقول ابن عباس رضي الله عنهما: لما بت عند خالتي ميمونة زوج الرسول ﷺ نام الرسول ﷺ حتى نصف الليل، أو قبله بقليل، أو بعده بقليل، ثم استيقظ

(١) رواه البخاري (١١٥٤) .

(٢) رواه البخاري (٦٣١٢) .

فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الآيات الخواتيم من سورة آل عمران، ثم قام إلى شن معلقة فتوضأ منها فأحسن الوضوء ثم قام فصلى[1] .

● أن يقول إذا وضع رجله على عتبة الباب خارجًا: بسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله لقوله ﷺ: «**إذا قال العبد هذا، قيل له: هديت وكفيت**»[2] .

● إذا غادر العتبة قال:

«**اللهم إني أعوذ بك أن أضل، أو أُضل، أو أزل، أو أُزل، أو أظلم، أو أُظلم، أو أجهل، أو يُجهل عليّ**»[3] .

(١) رواه البخاري (٤٥٦٩) .

(٢) **صحيح**. رواه الترمذي (٣٤٢٦) .

(٣) **صحيح**. رواه الترمذي (٣٤٢٧) .

## الآثار القبيحة للمعاصي

وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة، والمضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله.

● فمنها: حرمان العلم، فإن العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفئ ذلك النور.

قال الشافعي رحمه الله:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي
فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال اعلم بأن العلم فضل
وفضل الله لا يؤتاه عاص

• ومنهـا: حرمان الـرزق، كما أن تـقوى الله مجلبـة للرزق، فتـرك التقـوى مجلبة للفـقر، فـما استجلب رزق الله بمثل ترك المعاصي.

• ومنها: وحشة يجـدها العاصي في قلبه بينه وبين الله، لا توازنهـا ولا تقـارنها لذة أصـلاً، ولو اجـتـمـعت له لذات الدنيـا بأسـرهـا لم تفِ بتلك الوحـشـة، وهذ أمـر لا يحس بـه إلا من في قلبـه حياة.

• ومنهـا: الـوحـشـة التي تحـصـل بينه وبين الناس، ولاسـيـما أهل الخـيـر منهم، وقـال بعض السلف: إنـي لأعـصي الله، فـأرى ذلـك في خُلق دابتي وامرأتي.

• ومنها: تعسير أموره عـليه، فلا يتوجه لأمر إلا يجده مغلقًا دونه أو متـعسرًا عليه، وهذا كما أن

من اتقى الله جـعل له من أمـره يسـرًا، فـمن عطل التقوى جعل له من أمره عسرًا.

● ومنها: ظلمة يجدها في قلبه حقيقة، يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم إذا ادلهم.

● ومنها: أن المعاصي توهن القلب والبدن، أما وهنهـا للقلب فأمـر ظاهر، بل لا تزال تُوهنه حـتى تزيل حياته بالكلية.

● ومنها: حرمـان الطاعة، فلو لم يكن للذنب عقوبة إلا أنه يصد عن طاعة تكون بدله.

● ومنها: أن المعاصي تقصر العمر وتمحق بركته لابد، فإن البر كما يزيد في العمـر، فالفجور يقصر العمر[1].

(١) الداء والدواء ص٨٥ ـ ٨٩ باختصار.

## الحض على الكسب والعمل

قال سفيان الثوري: يا أخي! عليك بالكسب الطيب، وما تكسب بيدك، وإياك وأوساخ الناس أن تأكله أو تلبسه؛ فإن الذي يأكل أوساخ الناس مثله مثل عليَّة لرجل، وسفله ليس له، فهو لا يزال على خوف أن يقع سفله وتهدم عليته، فالذي يأكل أوساخ الناس هو يتكلم بهوى، ويتواضع للناس مخافة أن يمسكوا عنه.

ويا أخي! إن تناولت من الناس شيئًا قطعت لسانك، وأكرمت بعض الناس وأهنت بعضهم، مع ما ينزل بك يوم القيامة؛ فإن الذي يعطيك شيئًا من ماله فإنما هو وسخه.

**وتفسير وسخه:** تطهير عمله من الذنوب.

وإن أنت تناولت من الناس شيئًا، إن دعوك إلى منكر أجبتهم، وإن الذي يأكل أوساخ الناس كالرجل له شركاء في شيء ينبغي له أن يقاسمهم.

ويا أخي! جوع وقليل من العبادة، خير من أن تشبع من أوساخ الناس وكثير من العبادة، وقد بلغنا أن عمر بن الخطاب قال: من عمل منكم حمدناه، ومن لم يعمل اتهمناه.

وقال: يا معشر القراء ارفعوا رءوسكم، ولا تزيدوا الخشوع على ما في القلب، استبقوا الخيرات، ولا تكونوا عيالاً على الناس، فقد وضح الطريق.

وقال علي بن أبي طالب: إن الذي يعيش من أيدي الناس؛ كالذي يغرس شجره في أرض غيره.



فاتق الله يا أخي، فإنه ما نال أحد من الناس شيئًا، إلا صار حقيرًا ذليلاً عند الناس، والمؤمنون شهود الله في الأرض.

وإياك أن تكسب خبيثًا فتنفقه في طاعة الله، فإن تركه فريضة من الله واجبة، وإنه طيب لا يقبل إلا طيبًا، أرأيت رجلاً أصاب ثوبه بول، ثم أراد أن يطهره فغسله ببول آخر؟ أترىٰ كان ذلك يطهره، كلا، إن القذر لا يطهر إلا بطيب.

فكذلك لا تمحو السيئةَ إلا الحسنةُ، وإن الله طيب لا يقبل إلا الطيب، وإن الحرام لا يقبل في شيء من الأعمال.

وهل عمل أحد ذنبًا فمحاه بذنب؟[1]

(١) مواعظ سفيان ص٨٢ ـ ٨٤ .

## من أسمائه ﷺ

قال رسول الله ﷺ: «إن لي أسماءً: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب»[1].

وقال ﷺ: «أنا محمد، وأحمد، والمقفى، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة، ونبي الملحمة»[2].

روى البخاري في صحيحه بالسند إلى عطاء بن

(١) رواه البخاري (٤٨٩٦).

(٢) رواه مسلم (٢٣٥٤).

يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: «**يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين ، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ، ولا يدفع بالسيِّئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله ، ويُفتح به أعين عُمْي ، وآذان صم ، وقلوب غُلف**»[1].

● **الماحي:** هو الذي محا الله به الكفر ، ولم يُمح الكفر بأحد من الخلق ما محي بالنبي محمد ﷺ .

---

(١) رواه البخاري (٢١٢٥) .

● **الحاشر:** فالحشر هو الضم والجمع، فهو الذي يُحشر الناس على قدمه، فكأنه بعث ليحشر الناس.

● **العاقب:** الذي جاء عقب الأنبياء، فليس بعده نبي؛ فإن العاقب هو الآخر، فهو بمنزلة الخاتم، ولهذا سمي العاقب على الإطلاق، أي: عقب الأنبياء جاء بعقبهم.

● **نبي التوبة:** فهو الذي فتح الله به باب التوبة على أهل الأرض فتاب الله عليهم توبة لم يحصل مثلها لأهل الأرض قبله، وكان ﷺ أكثر الناس استغفارًا وتوبة، حتى كانوا يعدون له في المجلس الواحد مائة مرة: «**رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الغفور**»[1].

(١) **حسن.** رواه الترمذي (٣٤٣٠).

• **نبي الرحمة**: فهو الذي أرسله الله للعالمين، فرحم به أهل الأرض كلهم مؤمنهم وكافرهم، أما المؤمنون، فنالوا النصيب الأوفر من الرحمة، وأما الكفار، فأهل الكتاب منهم عاشوا في ظله، وتحت حبله وعهده، وأما من قتله منهم هو وأمته، فإنهم عجلوا به إلى النار وأراحوه من الحياة الطويلة التي لا يزداد بها إلا شدة العذاب في الآخرة.

• **نبي الملحمة**: فهو الذي بعث بجهاد أعداء الله، فلم يجاهد نبي وأمته قط ما جاهد رسول الله ﷺ وأمته، والملاحم الكبار التي وقعت وتقع بين أمته وبين الكفار لم يُعهد مثلها قبله، فإن أمته يقتلون الكفار في أقطار الأرض على تعاقب الأعصار، وقد أوقعوا بهم من الملاحم ما لم تفعله أمة سواهم.

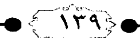
• **المتوكل**: وهو ﷺ أحق الناس بهذا

الاسم؛ لأنه توكل على الله في إقامة الدين توكلاً لم يشركه فيه غيرُه.

● وسماه الله عز وجل في كتابه العزيز: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ [البقرة: ١١٩]، ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

● **وأما البشير:** فهو المبشر لمن أطاعه بالثواب.

● **النذير:** المنذر لمن عصاه بالعقاب.



## علامات حسن الخاتمة

ثم إن الشارع الحكيم قد جعل علامات بينات يستدل بها على حسن الخاتمة كتبها الله لنا بفضله ومَنِّه فأيما امرئ مات بإحداها كانت بشارة له، ويا لها من بشارة.

**الأولى: نطقه بالشهادة عند الموت:**

قال رسول الله ﷺ: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**» (1).

**الثانية: الموت برشح الجبين:**

لحديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه «أنه

(1) **صحيح**. رواه أحمد وأبو داود والحاكم، صحيح الجامع (٦٤٧٩).

كان بخراسان، فعاد أخًا له وهو مريض، فوجده بالموت، وإذا هو يعرق جبينه، فقال: الله أكبر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**موت المؤمن بعرق الجبين**»[1].

**الثالثة: الموت ليلة الجمعة أو نهارها:**

قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يموت يوم الجمعة، أو ليلة الجمعة، إلا وقاه الله فتنة القبر**»[2].

**الرابعة: الاستشهاد في ساحة القتال:**

قال رسول الله ﷺ: «**للشهيد عند الله ست خصال: يُغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده**

---

(1) **صحيح**. رواه النسائي (١٨٢٨)، (١٨٢٩).

(2) **صحيح**. رواه أحمد والترمذي، صحيح الجامع (٥٧٧٣).

من الجنة، ويُجار من عذاب القبر ويأمن الفزع الأكبر، ويُحلَّى حلية الإيمان، ويُزوج من الحور العين، ويُشفع في سبعين إنسانًا من أقاربه»[1] .

قال رسول الله ﷺ: «من سأل الله الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»[2] .

**الخامسة: الموت بداء البطن:**

قال رسول الله ﷺ: «ومن مات في البطن فهو شهيد»[3].

أي: بداء البطن وهو الاستسقاء وانتفاخ البطن

(١) **صحيح**. رواه الترمذي (١٦٦٣).

(٢) رواه مسلم (١٩٠٩) .

(٣) رواه مسلم (١٩١٥) .

وقيل هو الإسهال، وقيل الذي يشتكي بطنه .

**السادسة : الموت بالطاعون :**

عن حفصة بنت سيرين: قال لي أنس بن مالك: بم مات يحيى بن أبي عمرة؟ قلت: بالطاعون، فقال: قال رسول الله ﷺ: «**الطاعون شهادة لكل مسلم**»[1].

**السابعة : الموت بالغرق :**

قال رسول الله ﷺ: «**الغريق في سبيل الله شهيد**»[2].

**الثامنة : الموت بالهدم :**

قال رسول الله ﷺ: «**الشهداء خمسة:**

(١) رواه البخاري (٢٨٣٠) .

(٢) **صحيح**. رواه البخاري في التاريخ عن عقبة بن عامر، صحيح الجامع (٤١٧٣) .

المطعـون، والمبطون، والغـريق، وصـاحب الـهـدم، والشهيد في سبيل الله»[1].

**التاسعة: الموت بالسل:**

قال رسول الله ﷺ: «**السل شهادة**»[2].

**العاشرة: موت المرأة في نفاسها بسبب ولدها:**

قال رسـول الله ﷺ: «**القتل في سـبيل الله شـهادة، والغـرق شهـادة، والبطن شـهادة، والحـرق شـهـادة، والسل شـهـادة، والنفـسـاء يجـرها ولدها بسررها إلى الجنة**»[3].

---

(١) رواه البخاري (٢٨٢٩).

(٢) **صحيح**. رواه أحمد والطبراني، صحيح الجامع (٣٦٩١).

(٣) **حسن**. رواه أحمد، صحيح الجامع (٤٤٣٩).

**الحادية عشرة : والثانية عشرة : الموت بالحرق ، وذات الجنب :**

قال رسول الله ﷺ : «**الشهداء سبعة سوى القتل في سبيل الله: المطعون شهيد، والغرق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، والحرق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجُمُع شهيدة**»[1] .

**الثالثة عشرة: الموت في سبيل الدفاع عن المال المراد غصبه:**

قال رسول الله ﷺ : «**من قتل دون ماله فهو شهيد**»[2] .

---

(١) **صحيح**. رواه أحمد، صحيح الجامع (٣٧٣٩) .

(٢) رواه البخاري (٢٤٨٠) .



**الرابعة عشرة والخامسة عشرة: الموت في سبيل الدفاع عن الدين والنفس:**

قال رسول الله ﷺ: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد»(١).

**السادسة عشرة: الموت مرابطًا في سبيل الله:**

قال رسول الله ﷺ: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأُجري عليه رزقه، وأمن الفتان»(٢).

وقال أيضًا: «كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطًا في سبيل الله فإنه يُنمى له عمله إلى

(١) **صحيح**. رواه النسائي (٤٠٩٥).
(٢) رواه مسلم (١٩١٣).

يوم القيامة ، ويأمن فتنة القبر»[1] .

**السابعة عشرة: الموت على عمل صالح:**

قال رسول الله ﷺ : «من قال: لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله خُتم له بها دخل الجنة، ومن صام يومًا ابتغاء وجه الله خُتم له بها دخل الجنة، ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله خُتم له بها دخل الجنة»[2] .



(١) **صحيح**. رواه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم، صحيح الجامع (٤٥٦٢).

(٢) **حسن**. رواه أحمد (١/ ٣٩١).

## نواقض الإسلام

إن للإسلام نواقض إذا فعل المسلم واحدًا منها فقد فعل الشرك الذي يحبط العمل، ويُخلد في النار، ولا يغفره الله إلا بتوبة .

**١ـ دعاء غير الله:** كدعاء الأنبياء أو الأولياء الأموات أو الأحياء الغائبين، لقول الله تعالى: ﴿ **وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [يونس: ١٠٦].

قال رسول الله ﷺ: «**من مات وهو يدعو من دون الله ندًا دخل النار**»[١] .

---

(١) رواه البخاري (٤٤٩٧).

**٢- اشمئزاز القلب من توحيد الله**، ونفوره من دعائه والاستعانة به وحده، وانشراح القلب عند دعاء الرسل أو الأولياء الأموات أو الأحياء الغائبين، وطلب المعونة منهم، لقوله تعالى عن المشركين: **﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾**.

[الزمر: ٤٥]

**٣- الذبح لرسول أو لولي**، لقوله تعالى: **﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾** [الكوثر: ٢].

أي: صل لربك واذبح له.

قال رسول الله ﷺ: **«لعن الله من ذبح لغير الله»**[1].

---

(١) رواه مسلم (١٩٧٨).

**٤ـ النذر لمخلوق على سبيل التقرب والعبادة له،** **وهي لله وحده،** قال تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ [آل عمران: ٣٥].

**٥ـ الطواف حول القبر بنية التقرب والعبادة له،** **وهو خاص بالكعبة؛** لقول الله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

**٦ـ الاعتماد والتوكل على غير الله؛** لقول الله تعالى: ﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

**٧ـ الركوع أو السجود بنية العبادة للملوك أو العظماء الأحياء أو الأموات إلا أن يكون جاهلاً؛ لأن الركوع والسجود عبادة لله وحده.**

**٨ـ إنكار ركن من أركان الإسلام المعروفة:** كالصلاة والزكاة والصوم والحج، أو إنكار ركن من

أركــان الإيمان، وهي الإيمان بالله وملائـكته وكـتبـه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وغير ذلك مما هو معلوم من الدين بالضرورة.

**٩ـ كراهيـة الإسلام**، أو كراهية شيء مجمع عليه في العبادات أو المعاملات أو الاقتصاد، أو الأخلاق، لقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد: ٩].

**١٠ـ الاستهزاء بشيء من القرآن**، أو الحديث الصحيح المتفق على صحته وأدلتـه، أو بحكم مجمع عليه من أحكام الإسلام، لقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾.

[التوبة: ٦٥، ٦٦]

**١١- إنكار شيء من القـرآن الكريم**، أو الأحاديث



الصحيحـة مما يوجب الردة عن الدين إذا تعمد ذلك عن علم .

**١٢- شـتم الرب أو لعن الدين أو سب الرسول** ﷺ ، أو الاستهزاء بحاله ، أو نقد ما جاء به مما يوجب الكفر .

**١٣ـ إنكار شيء من أسماء الله،** أو صفاته ، أو أفعاله الثابتة في الكتاب والسنة الصحيحة من غير جهل ولا تأويل .

**١٤ـ عدم الإيمان بجميع الرسل** الذين أرسلهم الله لهداية الناس ، أو انتقاص أحدهم ، لقوله تعالى : ﴿لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

**١٥ـ الحكم بغير ما أنزل الله:** إذا اعتقد عدم صلاحية حكم الإسلام أو أجاز الحكم بغيره ؛ لقوله

تعـالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ [المائدة: ٤٤].

**١٦ ـ التحاكم لغير الإسلام**، وعدم الرضا بحكم الإسلام، أو يرى في نفسه ضيقًا وحرجًا؛ لقوله تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ [النساء: ٦٥]

**١٧ ـ تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله**، كتحليل الزنا أو الخمر أو الربا غير متأول؛ لقوله تعالى: ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾ [البقرة: ٢٧٥].

**١٨ ـ تبديل الدين والانتقال من الإسلام إلى غيره**؛ لقوله تعالى: ﴿ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة﴾. [البقرة: ٢١٧]

قال رسول الله ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه»[1].

**١٩ ـ مناصرة اليهود والنصارى والشيوعيين ومعاونتهم على المسلمين**؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران: ٢٨].

**٢٠ ـ عدم تكفير الشيوعيين المنكرين لوجود الله، أو اليهود والنصارى الذين لا يؤمنون بمحمد ﷺ**؛ لأن الله كفرهم فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦].

**٢١ ـ قول بعض الصوفيين بوحدة الوجود**: وهو

(١) رواه البخاري (٣٠١٧).



ما في الكون إلا الله، حتى قال زعيمهم:

وما الكلبُ والخنزيرُ إلا إلهنا

وما الله إلا راهب في كنيسة

وقال زعيمهم الحلاج: «أنا هو، وهو أنا» فحكم العلماء عليه بالقتل فأُعدم .

٢٢ـ **القول بانفصال الدين عن الدولة،** وأنه ليس في الإسلام سياسة حكم؛ لأنه تكذيب للقرآن والحديث والسيرة النبوية.

٢٣- **قول بعض الصوفية: إن الله سلم مقاليد الأمور لبعض الأولياء من الأقطاب،** وهذا شرك في أفعال الرب سبحانه، يخالف قوله تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٣].

إن هذه المبطلات أشبه بنواقض الوضوء، فإذا

فعل المسلم واحدًا منها فليجدد إسلامه، وليترك المبطل وليتب إلى الله قبل أن يموت فيحبط عمله، ويُخلد في نار جـهنم، قال الله تعـالى: ﴿**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[الزمر: ٦٥].



## القبر أول منازل الآخرة

القبر هو ذلك المكان الضيق الذي يضم بين جوانبه جثث الموتى، وهو موطن العظماء والحقراء، والحكماء والسفهاء، ومنزل الصالحين السعداء، وهو إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، وإما دار كرامة وسعادة، أو دار إهانة وشقاوة . . . فواعجبًا لذوي القربى كيف يتقاطعون ويتحاسدون وهم يعلمون أنهم إلى القبور صائرون؟!

ثم واعجبًا للحكام كيف يظلمون ويطغون وهم يعلمون أنهم غدًا في اللحود مقيمون؟!

قال رسول الله ﷺ: **«إن الميت يصير إلى**



القبـر فيجلس الرجل الصـالح في قبره غيـر فزع ولا مـشغـوف ـ أي : خائف مـذعـور ـ ثم يقال له: فـيم كنت؟ فيـقول: كنت في الإسلام، فيقـال له: ما هذا الرجل؟ فـيـقول: مـحـمد رسـو ل الله ﷺ جـاءنا بالبينات من عند الله، فـصدقناه، فيـقال له: هل رأيت الله؟ فيـقول: مـا ينبغي لأحـد أن يرى الله، فيـفرج له فرجـة قبل النار فـينظر إليهـا يحطم بعضـها بعـضًا، فيقال له: انظر إلى ما وقاك الله، ثم يفرج له قبل الجنة فينظر إلى زهرتها ومـا فيها ، فيقال لـه: هذا مقعدك، ويقال له: على اليقين كنت، وعليه مت، وعليه تبعث إن شـاء الله، ويجلس الرجل السـوء في قـبـره فزعـًا مـشغـوفًا، فـيقـال له: فيم كنت؟ فـيقـول: لا أدري، فـيقـال له: ما هذا الرجل؟ فـيقـول: سمـعت الناس يقولون قـولاً فقلتـه، فيـفرج له قبل الجنة فـينظر إلى

**زهرتها وما فيها، فيقال له: انظر إلى ما صرف الله عنك، ثم يفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضًا، فيقال له: هذا مقعدك، على الشك كنت، وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء الله تعالى»**[1].

ليلتان اثنتان يجعلهما كل مسلم في مخيلته، ليلة في بيته، مع أطفاله وأهله منعمًا سعيدًا، في عيش رغيد، وفي عافية وصحة، يضاحك أولاده ويضاحكونه، والليلة التي تليها مباشرة أتاه فيها ملك الموت، فوضع في القبر وحيدًا منفردًا.

● أول ليلة في القبر... بكى منها العلماء... وشكى منها الحكماء، وصنفت فيها المصنفات.

أُتي بأحد الشعراء وهو في سكرات الموت،

(١) **صحيح**. رواه ابن ماجه (٤٢٦٨).

لدغته حية، وكان في سفر فنسي أن يودع أمه، وأباه، وأطفاله، وإخوانه، فقال قصيدة يلفظها مع أنفاسه، ويقول وهو يزحف إلى القبر:

**فلله دري يوم أترك طائعًا**

**بني بأعلى الرقمتين وداريا**

**يقولون لا تبعد وهم يدفنونني**

**وأين مكان البعد إلا مكانيا**

يقول: كيف أفارق أولادي في هذه اللحظة؟ لماذا لا أستأذن أبواي؟ أهكذا تختلس الحياة؟ أهكذا تذهب؟ أهكذا أفقد كل شيء في لحظة؟ ويقول أصحابي والذين يتولون دفني: لا تبعد، أي لا أبعدك الله، وهل هناك أظلم من هذا المكان؟ ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ

صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

**كان يزيد الرقاشي يقول في كلامه:**

أيها المقبور في حفرته، المتخلي في القبر بوحدته، المستأنس في بطن الأرض بأعماله، ليت شعري بأي أعمالك استبشرت، وبأي أحوالك اغتبطت؟ ثم يبكي حتى يبل عمامته، ويقول: استبشر - والله - بأعماله الصالحة، واغتبط - والله - بإخوانه المعاونين له على طاعة الله[1].

وأحسن القائل:

**أرى أهل القصور إذا أميتوا**

**بنوا فوق المقابر بالصخور**

---

(١) التذكرة ص٧٥.

**أبوا إلا مـــبــــاهاة وفـــخـــرًا**

**على الفـقـراء حتى في الـقبـور**

**لعمرك لو كـشفت الترب عنهم**

**فـمـا تدري الغنـي من الفـقـيـر**

**ولا الجلد المبـاشـر ثوب صـوف**

**من الجلـد المبـــاشــر للـحـــرير**

**إذا أكـل الثـــــرى هذا وهـذا**

**فمـا فضل الغنـي على الفقـير؟**

وروي عن محمد القرشي أنه قال:

سمــعت شيــخنا يقول: أيهــا الناس، إني لكم ناصح وعليكم مــشـفق، فــاعــملوا في ظلمــة الليل لظلمة القــبر، وصومــوا في الحر قــبل يوم النشور،

وحجوا يحط عنكم عظائم الأمور، وتصـدقوا مخافة يوم عسير[1] .

❑ ❑ ❑

(١) التذكرة ص٧٥ .

## ❐ ● ❐ اللهم الرفيق الأعلى ❐ ● ❐

قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى إذا أراد رحمة أمة من عباده قبض نبيها قبلها، فجعله لها فرطًا وسلفًا بين يديها، وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حي فأهلكها وهو ينظر، فأقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره»[1].

وقال ﷺ: «إن الله خير عبدًا بين الدنيا وبين

(١) رواه مسلم (٢٢٨٨).

ما عند الله، فاختار ما عند الله »، فبكى أبو بكر . . .[1].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن كان رسول الله ﷺ ليتعذر في مرضه: أين أنا اليوم؟ أين أنا غدًا؟ استبطاءً ليوم عائشة، فلما كان يومي، قبضه الله تعالى بين سحري ونحري، ودفن في بيتي»[2] .

وعنها رضي الله عنها قالت: «إن من نعم الله عليَّ أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته، دخل عليَّ عبد الرحمن وبيده سواك وأنا مسندة رسول الله ﷺ، فرأيته ينظر إليه فعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه أن

(١) رواه البخاري (٤٦٦).
(٢) رواه البخاري (١٣٨٩).

نعم، فناولته فاشتد عليه، فقلت: ألينه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فلينته فأخذه فأمره وبين يديه ركوة أو علبة - يشك أبو عمرو - فيها ماء، فجعل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول: «**لا إله إلا الله إن للموت لسكرات**»، ثم نصب يده فجعل يقول: «**في الرفيق الأعلى**»، حتى قبض ومالت يده»[1].

وعنها رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يقول وهو صحيح: «**لن يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يُخير**»، فلما نزل به - ورأسه على فخذي - غُشي عليه ساعة، ثم أفاق، فأشخص بصره إلى السقف ثم قال: «**اللهم الرفيق الأعلى**»، قلت: إذًا لا يختارنا، وعلمت أنه الحديث الذي كان

(١) رواه البخاري (٤٤٤٩).

يحدثنا وهو صحيح، قالت: فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها: «**اللهم الرفيق الأعلى**»[1] .

وعنها رضي الله عنها قالت: أصغيت إلى النبي ﷺ قبل أن يموت وهو مسند - إليَّ ظهره، فسمعته يقول: «**اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق**»[2] .

وعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول في مرضه الذي توفي فيه: «**الصلاة وما ملكت أيمانكم، فمازال يقولها حتى ما يفيض بها لسانه**»[3] .

---

(١) رواه البخاري (٦٣٤٨) .

(٢) رواه البخاري (٤٤٤٠) .

(٣) **صحيح**. رواه ابن ماجه (١٦٢٥) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: «**لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[1].

عن أنس رضي الله عنه قال: «لما ثقل رسول الله جعل يتغشاه الكرب، فقالت فاطمة رضي الله عنها: واكرب أبتاه، فقال لها: «**ليس على أبيك كرب بعد اليوم**»، فلما مات قالت: يا أبتاه أجاب ربًا دعاه، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل أنعاه، فلما دفن قالت فاطمة: يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب؟!»[2].

وعنه رضي الله عنه قال: «لما كان اليوم الذي

(١) رواه البخاري (٤٤٤١).

(٢) رواه البخاري (٤٤٦٢).

دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء، وما نفضنا عن النبي ﷺ الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا»[1].

وعن عائشة رضي الله عنها: «أن رسول الله ﷺ توفي وهو ابن ثلاث وستين»[2].

والمعروف أن الرسول توفي يوم الاثنين سنة ١١ هـ بعد أن بلغ رسالته، وأكمل الله به الدين.

❑ ❑ ❑

(١) **صحيح**. رواه ابن ماجه (١٦٣١).

(٢) رواه البخاري (٤٤٦٦).

## ❑ • ❑ الكلمة الأخيرة ❑ • ❑

**• سعد بن أبي وقاص يوصي بتكفينه ولحده :**

الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص، أحد العشرة المبشرين بالجنة وأول من رمى بسهم في سبيل الله، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وتوفي سنة ٥٥ هـ.

لما حضرته الوفاة دعا بخلق جبة له من صوف، فقال: كفنوني فيها فإني لقيت المشركين فيها يوم بدر، وإنما كنت أخبؤها لهذا اليوم .

وأوصى في مرض الموت الذي هلك فيه فقال: الحدوا لي لحدًا ، وانصبوا عليَّ اللبن نصبًا، كما

فعل برسول الله ﷺ[1] .

**• خباب بن الأرت : نهينا أن ندعو بالموت :**

خباب بن الأرت، من الصحابة السابقين الأولين في الإسلام، وعذب عذابًا شديدًا لأجل ذلك فصبر، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، نزل الكوفة، ومات فيها سنة ٣٧ هـ. لما كان في النزع الأخير قال: لولا أن رسول الله ﷺ نهى أن ندعو بالموت لدعوت به، إن من قبلنا مضوا، ولم يأكلوا من أجورهم شيئًا، وإنا قد نلنا من الدنيا حتى لا يدري أحدنا ما يُصنع به إلا ما ينفق في التراب، وإن المسلم يؤجر في كل شيء ينفقه إلا ما ينفق في التراب[2] .

(١) وصايا العلماء عند حضور الموت ص٤٤ .

(٢) وصايا العلماء عند حضور الموت ص٥٢ .

**• أبو سفيان بن الحارث يبشر أهله :**

أبو سفيان بن الحارث - المغيرة - أحد الأبطال الشعراء في الجاهلية والإسلام، أخو الرسول ﷺ من الرضاع، وصديقه في الجاهلية، أسلم يوم فتح مكة، ومات بالمدينة سنة ٢٠ هـ.

لما حضرته الوفاة قال لأهله: لا تبكوا عليَّ، فإني لم أتنظف - أي: لم أتلطخ - بخطيئة منذ أسلمت[١] .

**• خالد بن الوليد : لا نامت أعين الجبناء :**

الصحابي الجليل خالد بن الوليد، كان من أشراف العرب في الجاهلية، أسلم قبل فتح مكة، كان مظفرًا، خطيبًا، مات بحمص، وقيل بالمدينة سنة ٢١هـ.

---

(١) طبقات ابن سعد (٤/ ٥٣).

لما حضرته الوفاة قال: لقيت كذا وكذا زحفًا، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف، أو رمية بسهم، أو طعنة برمح، وها أنا أموت على فراشي، حتف أنفي، فلا نامت أعين الجبناء[1].

*** أبوبكرة يخشى أن يجيء أمر يحول بينه وبين الإسلام:**

أبو بكرة، نفيع بن الحارث، مولى النبي ﷺ، وكان من فقهاء الصحابة. قال لكاتبه: اكتب وصيتي، هذا ما أوصى به أبو بكرة، صاحب رسول الله ﷺ، ثم عدل عن ذلك وقال: أكتني عند الموت؟! امحُ هذا، واكتب: هذا ما أوصى به نفيع الحبشي، مولى رسول الله ﷺ وهو يشهد أن الله عز وجل ربه،

(١) صفة الصفوة (١/ ٢٥٢).

وأن محمدًا ﷺ نبيه، وأن الإسلام دينه، وأن الكعبة قبلته، وأنه يرجو من الله عز وجل ما يرجوه المعترفون بتوحيده، المقرون بربوبيته، الموقنون بوعده ووعيده، الخائفون من عذابه، المشفقون من عقابه، المؤملون لرحمته، إنه أرحم الراحمين.

ولما ثقل بكت ابنته فقال: لا تبك، قالت: يا أبتاه، إن لم أبك عليك فعلى من أبكي؟! فوالذي نفسي بيده ما في الأرض أحب إليَّ أن تكون من نفسي هذه، ولا نفس هذا الباب، ثم أقبل على جمرات فقال: ألا أخبرك لماذا خشيته؟ والله أن يجيء أمر يحول بيني وبين الإسلام[1].

**• أحد الأنصار يوصي ابنه:**

اتق الله ... إن استطعت أن يكون اليوم خيرًا

(١) الثبات عند الممات ص١٧٠.

منك أمس، وغدًا خيرًا منك اليوم، فافعل.

وإياك والطمع فإنه عدو حاضر. وعليك باليأس، فإنك لم تيأس من شيء إلا استغنيت عنه. وكل شيء يعتذر منه، فإنه لن يعتذر من خير. وإذا عثر عاثر من الناس، فاحمد الله أن لا تكونه. وإذا قمت إلى صلاتك فصل صلاة مودع، وأنت ترى أنك لن تصلي بعدها أبدًا[1].

**• خبيب بن عدي يصلي، ويقول شعرًا قبل الموت:**

خبيب بن عدي رضي الله عنه صحابي جليل، شهد أحدًا، وكان فيمن بعثه النبي ﷺ مع بني لحيان، فأسروه هو وزيد بن الدثنة، فباعوهما

(١) وصايا وعظات ص٢٦٢، ٢٦٣.

من قريش، فقتلوهما، وصلبوهما بمكة بالتنعيم.

ولما أُسر في ماء الرجيع، وخرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل، قال لهم خبيب: دعوني أركع ركعتين، فتركوه، ثم قال: والله لولا أن تظنوا أني إنما طولت جزعًا من القتل لاستكثرت من الصلاة، ودعا عليهم فقال: اللهم أحصهم عددًا، واقتلهم بددًا، ولا تبق منهم أحدًا، ثم قال:

**لست أبالي حين أقتل مسلمًا**
**على أي شق كان في الله مصرعي**
**وذلك في ذات الإله وإن يشأ**
**يبارك على أوصال شلو ممزع**

ثم رفعوه على خشبة، فلما أوثقوه قال: اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك، فبلغه الغداة ما يفعل بنا.



ثم قام أبو سروعة ـ عقبة بن الحارث ـ فقتله، فكان خبيب أول من سن لكل مسلم قتل صبرًا الصلاة [1] .

**• الأسود بن يزيد يبكي عند الاحتضار:**

الأسود بن يزيد بن قيس النخعي، تابعي، فقيه، من الحفاظ، كان عالم البصرة في عصره. لما احتضر بكى، فقيل له: ما هذا الجزع؟ فقال: ما لي لا أجزع، ومن أحق مني؟ والله لو أنبئت بالمغفرة من الله، لهمني الحياء منه مما صنعت، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه، فلا يزال مستحييًا منه[2] .

(١) رواه البخاري (٤٠٨٦)، (٤٠٨٧).

(٢) وصايا وعظات ص٢٦٤.

## الخاتمة

إخواني: جدوا فقد سُبقتم، واستعدوا فقد لُحقتم، وانظروا بماذا من الهوى علقتم؟ ولا تغفلوا عما له خُلقتم، ذهبت الأيام وما أطعمتم، وكتبت الآثام وما أصغيتم، وكأنكم بالصادقين وقد وصلوا وانقطعتم.

**ما ضاع من أيامنا هل يُغرمُ ... هيهات والأزمانُ كيف تُقَوَّمُ**

**يوم بأرواح يباع ويشترى ... وأخوه ليس يُسامُ فيه بدرهم**

**لي وقفة في الدار لا رجعت بما ... أهوى ولا يأسي عليها يُقَدَّمُ**

وكفاك أني للنوائب عاتبُ

ولصم أحجار الديار أكلم

ومن البلادة في الصبابة أنني

مستخبر عنهن من لا يفهم

وإذا البليغ شكا إليه يُبثُّهُ

عبثًا فما بال المطايا ترزمُ

كُلٌّ كَنَى عن شوقه بلغاته

ولربما أبكى الفصيحَ الأعجمُ

نرجو سلوكًا في رسوم بينها

الأغصان سكر، والحمام متيمُ

هذي تميل إذا تنسمت الصبا

والورق تذكر إلفها فترنم

آه على زمان فات، وعلى قلب حي مات، كيف الطمع فيما مضى؟ هيهات، أين الزمان الذي بان؟ أتراه بان؟ أين القلب الصافي؟ كان وكان.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

**الفقير إلى عفو ربه**

**أبو عبيدة**

**أسامة بن محمد الجمال**

❑ ❑ ❑

## قائمة المراجع

تفسير القرآن العظيم لابن كثير.
تفسير السعدي للسعدي.
صحيح البخاري للبخاري.
صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج.
صحيح أبي داود للألباني.
صحيح النسائي للألباني.
صحيح الترمذي للألباني.
صحيح ابن ماجه للألباني.
صحيح الجامع الصغير للألباني.
السلسلة الصحيحة للألباني.
فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر.
شرح صحيح مسلم للنووي.

البداية والنهاية لابن كثير.
سير أعلام النبلاء للذهبي.
الطبقات الكبرى لابن سعد.
صفة الصفوة لابن الجوزي.
المدهش لابن الجوزي.
صيد الخاطر لابن الجوزي.
مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي.
الزهد لابن المبارك.
العبودية لابن تيمية.
الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي.
مفتاح دار السعادة لابن القيم.
الداء والدواء لابن القيم.
مدارج السالكين لابن القيم.
عدة الصابرين لابن القيم.
الثبات عند الممات لابن أبي الدنيا.

التواضع والخمول لابن أبي الدنيا.

مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة.

الوابل الصيب لابن القيم.

الفوائد لابن القيم.

زاد المعاد لابن القيم.

التذكرة للقرطبي.

فضائل الصلاة والسلام على النبي ﷺ لإسماعيل ابن إسحاق.

وصايا وعظات لزهير محمود الحموي.

روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان.

حقًا إنها المنجيات لأسامة بن محمد الجمال.

مواعظ الإمام الحسن البصري لصالح الشامي.

مواعظ الإمام عمر بن عبد العزيز لصالح الشامي.

مواعظ الإمام سفيان الثوري لصالح الشامي.

مواعظ الإمام الفضيل بن عياض لصالح الشامي.



## المحتويات

# حقاً

## إنها المرأة الصالحة


تأليف

أبي عبيدة

أسامة بن محمد الجمال



الناشر

دار الصفا والمروة للنشر والتوزيع

الإسكندرية . ت : ٥٤٩٦١٠٧

# عاطفة الحب في الإسلام

تأليف
أبي عبيدة
أسامة بن محمد الجمال

الناشر
دار الصفا والمروة للنشر والتوزيع
الإسكندرية - ت: ٥٤٩٦١٠٧

الإذاعة بالصحيح من

# أشراط الساعة

تأليف

أبي عبيدة

أسامة بن محمد الجمال

الناشر

دار الصفا والمروة للنشر والتوزيع

الإسكندرية - ت: ٥٤٩٦١٠٧

# يا طالب العلم أقبل

تأليف

أبي عبيدة

أسامة بن محمد الجمال

الناشر

دار الصفا والمروة للنشر والتوزيع

الإسكندرية . ت : ٥٤٩٦١٠٧٠

# أختاه

## ما أحلى الرجوع إلى الله


تأليف

أبي عبيدة

أسامة بن محمد الجمال



الناشر

دار الصفا والمروة للنشر والتوزيع

الإسكندرية - ت: ٥٤٩٦١٠٧